المقتطف

الجزء الرابع من المجلد السادس والعشرين

١ ابريل (نيسان) سنة ١٩٠١ — الموافق ١٢ ذي الحجة سنة ١٣١٨

معرض باريس العام

الفصل السادس عشر في مصالح الجمهور

اشرت في الفصل السابق الى علل العمران التي يحاول فضلاء الاوربيين مداواتها . وقد انشأ مديرو المعرض قصرًا نخيماً لذلك ليجتمع فيهِ علماء الارض و يعرضوا ما استعملوهُ من الوسائل لمداواة علل العمران ونفع الجمهور — لحفظ الاطفال واشراك العمال في ربح اصحاب الاعمال وتأليف الشركات الصناعية والزراعية ومد يد المعونة الى الفلاحين ووقاية العمَّال من مضارّ المعامل وبناء البيوت الصحية لهم وتعليمهم وتعليم اولادهم واعداد ما يلزم لهم من التدابير الصحية ونحو ذلك مما يتصل بهذه المواضيع

وعرضت الدول المختلفة ومجالسها البلدية شرح الوسائل التي تستخدمها في هذه السبل وخرائط كثيرة واحصاءات عديدة وكتباً شتّى وجرائد وسجلات يظهر منها مقدار ما تمّ لها من النجاح وما لا تزال مفتقرة اليهِ

وقد زرت هذا القصر قبلما زرت اكثر مباني المعرض وزرتهُ ثانية بعد ان شاهدت اكثرها وخرجت منهُ كاسف البال لان كل ما رأيتهُ في القصور الاخرى من نتائج الصناعة والزراعة يمكن ان يقلَّد او يشترى بالمال واما ما فيهِ من الوسائل والاساليب فلا يشترى وقلّما ينفع فيهِ التقليد والتمثيل. فاذا لم نستطع ان نصنع آلة بخارية مثل الآلات التي صنعها الفرنسويون او الاميركيون او الالمان والبلجيون او غيرهم لم يتعذر علينا ان نشتري منهم واحدة منها. واذا تعذَّر علينا ان نصنع نظارة فلكية مثل النظارات الفرنسوية او الالمانية لم يتعذَّر علينا ان نبتاع واحدة منها . ولا يتعذر علينا ان نجلب مطبعة من المطابع التي تطبع خمسين الف نسخة في

الساعة ونشتري انفس الكتب ونطالعها ونتعلم ما فيها كما يتعلمهُ الاوربيون والاميركيون . ولكن اذا اتينا الى الوسائل التي تستعملها الحكومات والمجالس البلدية والجمعيات العلمية والادبية لترقية الامة وحفظ عمرانها ونزع شرور الفساد منهُ وقفنا امام "علق كريم لا يباع ولا يعار" امام نظام محكم الحلق ينتظم فيهِ أُلوف من كبار العقول اهل الحنكة والدراية والعفة والتفاني في خدمة الامة . نظام لا نستطيع نقلهُ الى بلادنا ولا النسج على منوالهِ ما لم تصر حكومتنا مثل حكوماتهم ورجالنا مثل رجالهم وهمتنا مثل همتهم . وهذا شأو لا ندركهُ الا بعد سنوات كثيرة ولو سعينا اليهِ سعياً حثيثاً وهو الفارق الاكبر بين المدنية الاوربية الحاضرة وبين مدنية العرب والروم واليونان والمصريين والاشوريين فان تاريخ تلك الامم يكاد يكون تاريخ ملوكها وامرائها وحروبها وغزواتها اما مصالح الجمهور فكانت مهملة متروكة الى احوال المكان وغيَر الزمان اذا افلح الملوك في الغزو والنهب كثر رزق الرعية وانغمست في الترف واذا اجدبت الارض وقلت الخيرات ماتت الرعية جوعاً واذا دخل البلاد وباءٌ انتشر فيها انتشار النار في الهشيم فيموت بهِ ربع السكان او ثلثهم او نصفهم ولذلك كان يمرُّ القرن بعد القرن ولا يزيد عدد الأُمة بل قد ينقص . اعتبرْ ذلك بسكان هذا القطر فانهم كانوا وقت الفتح نحو ثمانية ملايين من النفوس ومرَّ عليهم الف ومئتا سنة لم يزيدوا فيها بل نقصوا رويداً رويداً الى ان بلغوا مليونين من النفوس في اوائل القرن الماضي ثم لما صلحت امورهم في هذه السنين الاخيرة صارت زيادتهم السنوية نحو ثلاثة في المئة وصار الوباءُ الجارف اذا دخل قطرهم لا يستطيع ان يفتك بمئة من سكانهِ ولو بقي فيهِ شهوراً كثيرة

لكن ما نراهُ من الاصلاح في احوال هذا القطر مستعارٌ اكثرهُ والقائمون بهِ من غير اهلهِ في الغالب ولا يتيسر الآن لاهلهِ ولا لغيرهم من اهل المشرق ان يستنبطوا الاساليب التي استنبطها الاوربيون لمداواة ادواء الحضارة ولا ان يحسنوا استعمالها لو اقتبسوها من غيرهم وليس من مصلحتهم ان يكونوا معتمدين على الاوربيين القائمين بها

وفي هذا القصر بهو كبير اجتمع فيهِ نوّاب الجمعيات العلمية المختلفة وبحثوا في كل موضوع من مواضيع العلوم والفنون والمعارف على انواعها كأَنهُ معرض عرضوا فيهِ ثمار العقول وبنات الافكار لكي يستفيد كل احد منهم مما اكتشفهُ غيرهُ او استنبطهُ او وقف عليهِ . ولا ندري كيف وسع الوقت المؤتمرات العديدة التي اجتمعت فيهِ ولا تيسر لنا حضور اجتماع من اجتماعاتها لاننا وصلنا باريس بعد انفضاض اكثرها ولكننا لقينا كثيرين من اعضائها في ليلة حافلة احياها البرنس رولند نبوليون وهم من اكبر علماء اوربا واميركا وبعض علماء الهند وكثيرات من شهيرات النساء وبعضهم متطرّف

في آرائهِ شأن كثيرين من الذين يبحثون في موضوع واحد و يطيلون النظر فيهِ ولكن اكثرهم من جلَّة علماء الارض ولذلك لا يستغرب اجتناء الفوائد الجلى من مجتمعاتهم

الفصل السابع عشر في الاستعمار والمستعمرات

انكلترا اوسع الدول مستعمرات وانجحها استعمارًا فان مساحة مستعمراتها والممالك الخاضعة لها نحو احد عشر مليون ميل مربع وعدد سكانها اكثر من ٣٥ مليونًا من النفوس وتتلوها فرنسا فقد بلغت مساحة مستعمراتها الآن ثلاثة ملايين ومئتي الف ميل مربع اي ما يقارب مساحة اوربا كلها وعدد سكانها خمسون مليونًا ثم هولندا ومساحة مستعمراتها نحو ٧٥٠ الف ميل مربع وعدد سكانها نحو ٣٣ مليونًا وتأتي بعدهنَّ المانيا وروسيا والولايات المتحدة الاميركية

وقد تبارت هذه الدول في عرض ما في مستعمراتها من الثروة الطبيعية والاعمال الصناعية كأن الشركات التي انفقت على معارضها غرضها الاول ترغيب الناس في ابتياع اسهمها سواء كانت زراعية او صناعية او تجارية وغرض رجال الحكومة الذين عرضوا المعروضات "الرسمية" ان يقنعوا ابناء بلدانهم انهم قاموا بما يُطلَب منهم ولم يأخذوا اجورهم سدًى . ومهما يكن من هذه الاغراض فلا شبهة في ان المعروضات الرسمية التي ابانت بها هذه الدول عن حال مستعمراتها تشهد لها انها مهتمة شديد الاهتمام بنشر اساليب الحضارة ومساعدة رعاياها على استثمار خيرات الارض ومساعدة اهالي المستعمرات انفسهم على ما يصلح حالهم و يخفف عليهم مشاق الحياة واطلاق يد العلماء في البحث والتنقيب عن المتحجرات والعاديات والجماد والنبات والحيوان والعادات والاخلاق وغير ذلك مما لا يخلو البحث فيهِ من فائدة علمية

والقول الشائع ان فرنسا غير مفلحة في مستعمراتها ولكنها ابانت في ما عرضتهُ في هذا الفصل ان الفلاح قرين اعمالها في كل مستعمراتها حتى جزيرة مدغسكر احدثهنَّ استعمارًا فانها بنت لها بناء كبيرًا خارج التروكادرو على نسق قصور الملوك الوطنيين في مدغسكر و بنت حولهُ اكواخًا كثيرة اسكنت فيها اناسًا من المدغسكريين انفسهم حتى تظهر كيفية معيشتهم في بلادهم وعرضت في هذا القصر ما لا يحيط بهِ وصف مما يستدل بهِ على غنى تلك الجزيرة ووفرة خيراتها وانواع تربتها وتاريخ اهلها وعاداتهم واخلاقهم فترى فيهِ ثياب ملوكها وملكاتها وحلاهم وتيجانهم وآنيتهم الذهبية والفضية . ولا يُعلَم كم من هذه الاشياء صنعهُ اهالي مدغسكر انفسهم وكم منها صنعهُ الاوربيون المستوطنون عندهم او جلبوهُ لهم من اوربا وباعوهم اياهُ باستقلالهم لكن يظهر من انواع الاسلحة المعروضة ان بعضها من عمل اهالي مدغسكر وانهم كانوا على شيء من الصناعة قبل ان امتلكت فرنسا بلادهم او دخلها الاوربيون ويؤيد ذلك اصنام

الخشب المعروضة فان بعضها حسن عليهِ لمحة من الاتقان ولو كان اكثرها في منتهى الشناعة

ويظهر اهتمام الفرنسويين الشديد بهذه الجزيرة من بحث علمائهم في كل ما يتعلق بتاريخها الطبيعي فترى هناك امثلة كثيرة من حيواناتها ولاسيما قرودها الكثيرة والسلاحف الكبيرة التي كانت عائشة فيها وانقرضت منها الآن والكركدن الصغير الذي انقرض منها ايضاً والطائر المسمى ايبورنس الذي كان معاصراً للانسان ثم انقرض منها وقد عُرضت بيضة كبيرة من بيضهِ قطرها الاطول نحو ٣٥ سنتمتراً . والحشرات على انواعها والاصداف والاسماك والعشاش المنسوجة نسجاً ومصنوعات الاهالي واساليب انتقالهم في المحفات وعلى الثيران . والمنسوجات الحريرية والقطنية وهي كثيرة الانواع تضاهي المنسوجات الاوربية في اختلاف اشكالها وتنوُّع ألوانها . بينها منسوجات حرير العناكب وقد عُرضت هذه العناكب وحريرها وهو اصفر ذهبي لامع ومنسوجاتهُ متينة وغطاء السرير المعروض هناك لم ينسج من حريرها على ما شاع بل من حرير دودة اكبر من دود الحرير العادي عرضت هناك ايضاً . والظاهر ان اكثر هذه المصنوعات صنعها الاوربيون النازلون في الجزيرة ولم يكن سكانها الاَّ صناعاً عندهم . وعُرضت ايضاً حاصلات البلاد من الكاوتشوك والبن (وبعض انواعهِ كبير الحب كالفول) والصمغ العربي والكوبال والشمع والخشب والجلد والبطاطس وثمر شجر الخبز وهو كبير خشن اخضر اللون. والمنجو والرمان والصبر والشاي والزعفران والقرفة والڤانلاَّ والكاكو والفول السوداني والارز والقمح والذرة والصبر والاناناس والموز والليمون

والظاهر ان الذهب كثير في تلك الجزيرة فقد أُستخرج منهُ من سنة ١٨٨٨ الى سنة ١٨٩٩ ما تزيد قيمتهُ على خمسة ملايين من الفرنكات

وقد اشرت قبلاً الى مناظر مدغسكر التي عرضت في هذا البناء وهي صور كبيرة تظهر فيها تلك البلاد بحورها وبرورها وسهولها وحزونها وجبالها ووهادها ومدنها وقراها ومواقع الحرب التي آثارها الفرنسويون على اهلها فملكوا بها جزيرتهم واسروا ملكتهم. والصور من نوع البنوراما وقد احسن صناعها رسمها والقاء النور والظل عليها حتى يحسب من رآها انهُ رأى جزيرة مدغسكر وضرب في ارجائها وشاهد معارك القتال فيها وما تقلَّب عليها من الشؤُون منذ عشر سنوات الى الآن

واجاد الفرنسويون في معارض تونس والجزائر والسنغال ودهومي والنيغر وانام والتنكين كما اجادوا في معرض مدغسكر حتى لقد تغني مشاهدة هذه المعارض عن الرحلة الى تلك البلدان القاصية وعرضوا صوراً كلية للبلاد التي قصدوها فالناظر في معرض الجزائر مثلاً يرى امثلة

المباني الفاخرة في تلك البلاد وازياء الناس وطرق معيشتهم وحاصلات حقولهم ومعادن ارضهم وما استفادوهُ من استيلاء الفرنسويين عليهم . لكن الشرقيَّ يأسف لان الوطنيين من اهالي تلك البلاد لم يجاروا الفرنسويين في عرض ما يدلُّ على ارتقائهم الادبي والمادي بل عرضوا اموراً دنيئة سمجة كالرقص والخلاعة ومصنوعاتٍ حقيرةً زرية ما كان اغناهم عن عرضها. وكأَنَّ العارضين خدعوا اخوانهم الذين حضروا بهم الى عاصمة فرنسا فلم يوفوهم اجورهم وكثيراً ما كنتُ اراهم يتخاصمون ويتشاتمون وقال لي بعض التونسيين والجزائريين انهم كانوا يبيتون احياناً على الطوى ليس لهم ما يقوتهم

وكما ادخل الفرنسويون حسنات العمران الاوربي الى مستعمراتهم ادخلوا اليها سيآتهِ كالسكر والقمار والتهتُّك. ولو لم يثبت من تاريخ الانسان ان الصلاح يغلب على الطلاح اخيراً لخيف من غلبة السيآت على الحسنات وانقراض السكان من هذه المستعمرات

ومعارض المستعمرات الانكليزية لا يظهر فيها ان الانكليز يهتمون بالبحث النظري قدر الفرنسويين ولكن لا شبهة في انهم يهتمون مثلهم او اكثر منهم بالبحث العملي بالعدانة والفلاحة والصناعة والتجارة . ففي معرض استراليا ما لا يحصى من شذور الذهب وحجارتهِ وفيهِ هَرَم كبير يمثل ما استخرجوهُ من الذهب من تلك البلاد وهو من سنة ١٨٨٦ الى سنة ١٨٩٩ ستة عشر مليوناً و ٤٧٩ الفاً و ٣٨٣ جنيهاً واستخرجوا سنة ١٨٩٩ وحدها ١ ٦٤٣ ٨٧٥ اوقية تساوي ٦ ٢٤٦ ٧٢٨ جنيهاً. واكبر شذرة من شذور الذهب الاسترالي المعروضة هناك طولها نحو ٢٠ سنتمتراً وعرضها كذلك وسمكها نحو ١٠ سنتمترات ووزنها ٤١٣ اوقية وقيمة ذهبها ١٣٤٨ جنيهاً . ويقال انهُ وجد في حفرة واحدة نحو سبعين رطلاً من التبر

ومن معروضات استراليا اللؤلوء ومنهُ تسعة حبوب كبيرة في شكل صليب . والفحم الحجري وانواع الرخام والخشب الملون. وحسبُ استراليا وحسب الانكليز معمريها ان عدد سكانها منهم يبلغ الآن نحو ثلاثة ملايين ونصف مليون وتبلغ قيمة صادراتهم في السنة سبعين مليوناً من الجنيهات وقيمة وارداتهم ستين مليوناً ودخل حكومتهم السنوي نحو سبعة وعشرين مليوناً من الجنيهات اي ان دخل حكومة استراليا نحو ضعفي دخل الحكومة العثمانية مع ان سكان استراليا نحو عشر سكان البلاد العثمانية . ولم يتفق لامة من امم الارض ان عمَّرت بلاداً كما عمَّر الانكليز كندا واستراليا وزيلندا الجديدة ونحو ذلك من البلدان التي نزلوها فلا عجب اذا فاخروا الامم في ذلك واعترف لهم الجميع انهم اقدر الناس على الاستعمار

العلاج بالحرارة

يندر ان يُستنبط شيءٌ جديد ليس لهُ اصل قديم حتى قال حكيم اليهود لا جديد تحت الشمس. ومن هذا القبيل علاج الادواء بالحرارة لا بالكي والوسم بل بتعريض الجسم لهواء حارٍ جداً تزيد حرارتهُ على حرارة الماء الغالي فان قدماء الرومان كانوا يعالجون بعض الادواء بوضع اصحابها في حمامات حامية حتى تعرق ابدانهم وتلين عضلاتهم وقد كان عدد المستحمين في حمامات كراكلا خمسة وعشرين الف نفس كل يوم يتعرون و يستلقون على البلاط السخن ويتدثرون و يتضمخون بالطيب ويفركون بهِ ابدانهم حتى تلين اعضاؤُهم. لكن حرارة الحمامات مهما اشتدَّت لا تبلغ درجة غليان الماء بل تبقى دونها كثيرًا

ولا يخفى ان الحرارة هي المقصودة بالذات من اللزق والحراريق والخردليات وما تستعملهُ العجائز احيانًا من وضع رغيف سخن على مكان الالم او صرَّة ملح مسخَّن على الاذن المألومة. لكن القدماء لم يصلوا الى ما وصل اليهِ ابناءُ هذا العصر من استعمال الحرارة الشديدة التي تبلغ ثلثمئة او اربع مئة درجة بميزان فارنهيت من غير ان يُسلَق الجسم او يُحرَق. وطريقة المحدثين التي شاعت في العام الماضي وهذا العام ان يُصنع اناءٌ يسع الجسم كلهُ او بعض اعضائهِ ويبطَّن بالاسبستوس ويحمى باشعال الغاز تحتهُ فيسخن كثيرًا و يسخن الهواء الذي فيهِ ويدثر الانسان او العضو الذي يُراد معالجتهُ بالحرارة ويوضع في هذا الاناءِ فيسخن رويدًا رويدًا الى ان تعلو الحرارة فوق درجة غليان الماء كما يعلم من ثرمومتر خارج من الاناء ولا يشعر الجسم ولا العضو بالالم بل تفعل الحرارة بهِ فعلاً مخدِّرًا مسكنًا وتمتص الابخرة منهُ وتورّد الدم اليهِ وتفعل بهِ فعلاً صحيًّا كما سيجيءُ

وهذه الطريقة العلاجية تستعمل الآن في اشهر مدن اميركا في نيويورك وفيلادلفيا وشيكاغو وفي اشهر مدن المانيا ويراد استعمالها ايضاً في مدينة لندن. وقد قرأْنا رسالة مسهبة في هذا الموضوع للدكتور نيومن الالماني ظهرت في الثلاثين من شهر مارس في مجلَّة اللانست الطبية قال فيها انهُ عالج كثيرين بالحرارة الشديدة فشفاهم وقد عولج بها في مستشفى لندسباد بيادن بادن الف نفس فاحتملوا كلهم الحرارة الشديدة. وذكر عشرة منهم شفوا من عرق النسا وتسعة شفوا من النقرس الروماتزمي او المعيب (Arthritis deformans) وواحدة شفيت من تصلُّب الجلد (Scleroderma) وواحدة شفيت من الاذيما المخاطية (Myxœdema)

ومن الذين شفوا من الم عرق النسا رجل كان المهُ شديدًا جدًّا لا يستطيع المشي ولا الوقوف ولا

النوم عولج على اساليب كثيرة فلم ينجع فيهِ علاج واخيرًا عولج بالحرارة على ما تقدَّم مدة شهرين فشفي شفاءً تامًّا ومضي عليهِ الآن سبعة اشهر وهو يتعاطي اعمالهُ على جاري عادتهِ

ومنهم امرأَة أُصيبت بأَلم عرق النسا وظُن اولاً انها مصابة بالتهاب مفصل الورك وعولجت لذلك ثلاثة اشهر ولم تستفد شيئًا ثم ثبت انها مصابة بالم عرق النسا فعولجت بالحرارة اربعة اسابيع فشفيت تمامًا

ومنهم رجل كسر عنق عظم ساقهِ فضمرت واصيب بالم شديد في عرق النسا وبقي اشهرًا لا يستطيع المشي فعولج بالحرارة وشفي وهو يمشي الآن من غير أَلم

ومنهم امرأَة كانت تشكو من الم عرق النسا في فخذيها أُرسلت الى الدكتور نيومن بعد ان لزمت فراشها ستة اشهر ظنًّا انها مصابة بلين العظام Osteo-malacia وكانت لا تستطيع تحريك رجليها ولا حوضها . ثم شخَّص انها مصابة بالم عرق النسا وعولجت بالحرارة وبعد ستة اسابيع تركت المستشفى وهي تمشي بسهولة لكنها بقيت تتوكأُ على عصاً

وامرأة اخرى كانت ركبتها يابسة وساقها منثنية وكانت متأَلمة المًا شديدًا في المفصل الحرقفي العجزي الايسر وفي الاربية ولا تستطيع المشي الاَّ محدودبة حتى تكاد تنثني على نفسها فعولجت بالحرارة وشفيت تمامًا وصارت تمشي منتصبة

ومريض آخر كان مصابًا بالم عرق النسا في فخذهِ الايسر وبضمور في عضلات الالية والم في الاعصاب الالوية والمفصل العجزي والحرقفي العجزي ولم يكن يستطيع ان يحرك كتفهُ اليمنى الاَّ بصعوبة فعولج بالحرارة وشفي تمامًا

ومن الذين شفوا من النقرس المعيب مريض كان يشكو من يبس كتفيهِ ولا يستطيع ان يرفع ذراعيهِ ويبس رسغهُ الايسر وورمت ركبتاهُ واكعابهُ ويبست اصابعهُ فحمل الى المستشفى حملاً لانهُ لم يكن يستطيع المشي وعولج فيهِ بالحرارة فشفي تمامًا وهو الآن يمشي ويكتب ويرفع يديهِ فوق رأْسهِ ولا يشعر باقل الم

ومنهم امرأَة كانت مصابة بالنقرس المعيب في يديها ومفاصل اصابعها منذ اربع سنوات فعولجت بالحرارة ولم يزل رسغها الايمن يابسًا قليلاً ولكن زال الورم من اصابعها وصارت تحركها بسهولة وتكتب وتحبك على جاري عادتها

ومنهم مريض اصيب بالانفلونزا فتولد منها فيهِ نقرس معيب بقي سنتين اصيبت بهِ ركبتاهُ واكعابهُ ويداهُ فلم يعد يستطيع ان يعمل اقل عمل فعولج بالحرارة وشفي وصار يمشي ويحرك يديهِ بسهولة وزال الورم والالم

ومنهم مريض آخر كان مصاباً بالنقرس المعيب في ركبتيهِ فدخل المستشفى سنة ١٨٩٩ ولم يكن يستطيع المشي مطلقاً فخرج منهُ يمشي على عكاز ثم عاد اليهِ سنة ١٩٠٠ وعولج فيهِ ثانية فخرج منهُ صحيحاً

ومن الذين كانوا مصابين بتصلُّب الجلد Scleroderma امرأة عمرها ٤٦ سنة مضى عليها ست سنوات مصابة بهذا الداء لسبب غير معروف وكان التصلُّب في بطنها وصدرها وظهرها ورجليها من ركبتيها الى قدميها ويديها وذراعيها وبلغ اشدَّهُ في يديها حتى لم يعد يمكن تحريك جلدهما وافترقت اصابعها والتوت حتى صارت كمخالب الطير وبانت كفاها كانهما من الحجر ولم يعد المشي ميسوراً لها وكانت تتألم الماً مبرحاً كلما ارادت تحريك جسمها ولا سيما ليلاً . وبقي جلدها يحس ولكنهُ لم يكن يعرق ابداً . وبقي قلبها سليماً وكذلك رئتاها ولكن كان منظرها منظر الخوف والكآبة والكرب الشديد . وامتدَّ الداء الى وجهها فتغيرت سحنتها وقبح منظرها . فعالجها الدكتور نيومن بالحرارة فخفَّت آلامها وشرع جلدها يتحرَّك واخذت تعرق وصارت اصابع يديها تتحرك وتدنو بعضها من بعض ثم سهل عليها المشي وبعد اربعة اسابيع تركت المستشفى ثم عادت اليهِ في ١١ اكتوبر الماضي وقالت ان فعل الشفاء مستمرٌّ في جسمها وقد بدت الطلاقة في وجهها بعد الانقباض وصارت تمشي وتقوم وتقعد من غير الم

ومن الذين كانوا مصابين بالايذيما المخاطية Myxœdema امرأة عمرها ٣٤ سنة سُمت بالغاز سنة ١٨٩٨ ثم اعترتها الايذيما المخاطية من اسفل ظهرها الى ركبتيها وأُرسلت الى الدكتور نيومن وكانت مصابة بفقر الدم صغيرة النفس تبكي لاقل سبب ولم تكد تستطيع المشي وكان جلدها غليظاً جدًّا اصفر عجينياً لا يتحرك فعالجها اولاً بتنشيقها الاكسجين وبالحمامات حتى اذا صلحت حالها قليلاً عالجها بالحرارة فرقَّ جلدها وصار يتحرَّك بسهولة وزادت قوتها وبشَّ وجهها ثم صارت تمشي وذهبت ثلاثة اميال ماشية في ارض ترتفع ستمئة قدم

ونشرت مجلة الستراند صور الآلات التي يوضع فيها الجسم وتحمَّى بالغاز المشتعل حتى تعلو حرارتها رويداً رويداً . وهي اما كبيرة تسع الجسم كلهُ الى حد الرأس او صغيرة شكلها كشكل العضو الذي يراد علاجهُ فيها . وقد قال الدكاترة لندوزي ودجرين وكريتيان من اطباء باريس ان الحرارة من درجة ٢٠٠ الى ٣٥٠ بميزان فارنهيت شفت من النقرس والروماتزم المزمن . ويقال انهُ اذا بلغت الحرارة ١٥٠ درجة لم يشعر المصاب بشيءٍ من الالم واذا بلغت ١٨٠ درجة شعر بوخز كوخز الابر وعند الدرجة ٢٠٠ يشعر بخدر وسبات ومن ثم الى الدرجة ٢٨٠ يشعر بلذة لا بالم وقد تدعو الحال ان تزاد الحرارة الى الدرجة ٤٠٠ ولا بدَّ حينئذٍ من ان يوضع الثلج على رأس المصاب ويسقى ماء الثلج رويداً رويداً لان دمهُ يغلي عند الدرجة ٣٥٠

غرائب العلم

من خطبة لحضرة نجيب افندي بستاني رئيس محكمة قضاء المتن بلبنان تلاها في احتفال مدرسة شمس البر في بيروت

سادتي وسيداتي

لقد شاقني ما اقرأهُ كل يوم في كتب الغربيين ومجلاتهم من الحديث المستفيض عن اسرار العلوم وما ينجم عن استقرائها من الفوائد الى اختيار هذا الموضوع الجليل راجياً ان يشفع بي اليكم حداثة عهدي في مزاولة هذا الفن على خطارتهِ وقلَّة المامي بتفاريعهِ مع انهُ يستلزم سعة الاطلاع و بعد النظر فاقول . ان الايام لم تزل ترينا من غرائب العلم وعجائب الاكتشاف ما تَدْهَشُ بهِ العقول الزكيّة و يستغربهُ العلماء بل ينكْرهُ كثير من الفضلاء حتى عُدَّ بعضها من المعجزات وخوارق العادات الى ان عمَّ الاعتقاد بمنشإِها العلمي كالتليفون والتلغراف بدون سلك والفونوغراف والسينماتوغراف واشعة رنتجن والفوروفون وهو احدثها اختراعاً. ولا يذهب عليكم ان العلماء قد استيقظوا منذ اقدم القدم الى ممارسة بعض الاسرار العلمية كالسحر والصرع والشعوذة والعرافة واظهار الاشباح والخيالات فضلاً عمَّا سَمَت اليهِ نفوسهم من الادّعاء بمحادثة ارواح الاموات ومكالمة المعبودات ممَّا تمخضت لهُ سماء العلم فاحدث في قلوب الناس واذهانهم اثرًا مذكورًا فظنَّ قومٌ انهُ رجسٌ من عمل الارواح الخفيّة فاذاقوا دعاتهُ مرَّ العذاب واعتقدهُ آخرون بما انطلى عليهم من خبث هؤُلاء ودهائهم مما سأُلمُّ بهِ في معرض البحث عن تفاريع هذا الامر ناقلاً اليكم الخبر على علاَّتهِ مبيناً مزاعم العلماء كاشفاً ستر التعمية عن بعض اعمالهم وآرائهم وانا واياكم سواءٌ في انكار ما يستهجن من كل ذلك واستحسان ما يسلم بهِ العقل فإنَّ من العلم لسحرًا

وقد اخترت ان اروي لكم من كل ذلك حديثاً مستطاباً عن غرائب العلوم السرية كالتلباتي وهو الشعور عن بعد وظهور المحتضرين وانتقال الافكار والنوم العصبي والرؤْيا الشاقة حجاب الخفاء عن حوادث المستقبل ومحادثة ارواح الموتى والارواح القارعة . مورداً على كلٍّ منها بعض ما وقعت عليهِ من الامثلة الكثيرة في كتب الباحثين عن اسرار النفس الضاربين في بيداء الوهم آخذًا باهداب البحث عن كل فرع من فروع هذا المأْخذ الخطير بما لا يتجاوز حدَّ التعريف مبتدءًا بظهور المشرفين على الموت مما يدخل في باب الشعور عن بعد

ذلك بان يقع على شعور المرء تأثيرٌ خفي يمثل لهُ حادثاً يقع على بعدٍ شاسع عنهُ كأَن يرى

وهو في بيروت ما يدل على حادثة تقع في باريس او اميركا وهو ما يسميهِ الافرنج بتلباتي كما مرَّ. وقد رأيت بعد طول التدبر ان الحوادث التي سأوردها على مسامعكم لا تخلو على مكان بعضها من المبالغة والغلو ونشوء البعض الآخر منها عن محض اتفاقٍ مما يجعلها قريبة الى العقل لكثرة حدوثها بين البشر. من ذلك حادثة جرت في بيت الجنرال بارمنتيه في شلستادت الواقعة على نهر الرين في ليلة شديدة الحرّ وكان الباب بين غرفة الاستقبال وغرفة النوم قد ترك مفتوحاً ونافذتا غرفة الاستقبال كذلك تركتا مفتوحين وقيدت مصاريعهما لئلاَّ يحركها الهواءُ وكان والد الجنرال بارمنتيه ووالدتهُ نائمين فشعرت والدتهُ بحركة رفعت السرير من الاسفل الى الاعلى فاستيقظت مذعورة وأيقظت زوجها وبينا هي تقص عليهِ الخبر اهتز السرير شديداً للمرة الثانية فأوقد زوجها مصباحاً وتفقَّد الغرف وعاد قائلاً لها ليسكن جأشكِ فان الارض زلزلت وما لبث ان اضطجع حتى تحرَّك السرير وصارت ضوضاء قوية في غرفة الاستقبال كانما قد تصادم مصراعا النافذتين وانكسر الزجاج فقام وزوجتهُ وتفقدا الغرفة فوجدا النافذتين مفتوحتين والمصاريع موثقة والزجاج سالماً فتحققا ان ما سمعاهُ كان وهماً فاستولى على والدة الجنرال من جراء ذلك خوفٌ شديد فقالت لزوجها لقد أُصبت باحد من ذوي قرباي او احبائي وما هذا الاَّ انذارٌ خفيٌّ ولم يمضِ على ذلك ايامٌ قليلة حتى بلغها خبر وفاة رابتها في ڤينا في تلك الليلة عينها وكانت لشدَّة ولعها بها قد أسفت وهي تحتضر لعدم تمكنها من وداع تلميذتها المحبوبة

وروى الفلكيّ فلاماريون حادثة جرت لصديقٍ لهُ في مدينة روان سنة ١٨٩٦ هي بمكانٍ عظيم من الغرابة قال كان لصديقي موريس صديقة تُدعى هيلانة ترعرعت وايَّاهُ في مهدِ الصداقة والحب فحكم عليهما الزمان بالافتراق فذهبت هيلانة الى باريس وقد استحفظت موريس صورتها ليذكرها كلما رآها في غرفتهِ فاضرَّ هواءُ باريس بهيلانة وانهك البعاد جسمها فانحلهُ واعتراها داءُ السلّ فجزع موريس لذلك واخذ يراقب سير الداء ويراسلها وتراسلهُ الى ان كتبت اليهِ ذات يوم انها مستدرجةٌ الى الشفاء فقال ان الشفاء ممكن وما على الله شيءٌ عسير. وفي تالي ذلك اليوم اي في السادس عشر من نيسان (ابريل) جاش بالهُ النهار بطولهِ متوجساً ان يكون ما اشارت اليهِ من الشفاء ناشئاً عن تعلُّق المسلولين بحبال الآمال فدخل غرفتهُ جزعاً وجلس في كرسيهِ محدقاً الى صورة تلك الصديقة غريقاً في بحار الافكار والآمال فرأى اجفانها تختلج في الصورة وشفتيها تتحركان كأَنها تخاطبهُ ثم سمع صوتاً أَدهشهُ فاذا ناقوس الساعة يطنُّ الساعة الثامنة فظن انهُ في حلم فمسح عينيهِ معاوداً النظر الى الصورة فرآها ثانية قد فتحت عينيها شديداً ثم اطبقتهما وحركت شفتيها وتنهدت فذعر مما رأى وتوسَّد لينام فأرق

ونحو الساعة العاشرة قُرِع باب غرفتهِ بعنفٍ فناولوهُ رسالةً برقية تنبئهُ بان هيلانة ماتت الساعة الثامنة فبكّر من الغد الى باريس فاخبروهُ ان هيلانة لم تفتر عن ذكرهِ دقيقة واحدة وانها قالت قبيل وفاتها بدقائق لا شك ان صديقي موريس ينظر الآن الى صورتي راجياً لي الشفاء

وقد قرأت نحو مائة وثمانين حادثة مثل هذه ولا يُعقل ان تكون بجملتها صادرة عن محض الصدفة والاتفاق كما يزعمهُ البعض ولا بدّ من تأثير خفيٍ يُدرك عند حدوثهِ فقط فان مثل هذه الحوادث يُدركها المراقبُ البصيرُ ولا يقوى احد على احداثها . واكثر بعض العلماء على انها خارجة عن حد الاوهام واضغاث الاحلام ناشئة عن شعور النفس بما يقع على بُعد عنها حينما تكون مهيأة لقبول مثل هذا التأثير باستقرارها علي امرٍ معلوم واشتغالها بهِ دون سواهُ وهو قريب الى الصواب ان لم يكن حقيقياً فان من النفس الى النفس سبيلاً

ثم اننا اذا اعتبرنا ما تقدَّم فقد تمثلت لنا قوة سرية لم تزل مجهولة تصدر عن المرء وتؤثّر في من كان بعيداً عنهُ من امثالهِ . وليس مراد العلماء ان النفس الحية هي التي تنفصل عن الجسد مندفعةً نحو الشخص الذي تؤثّر فيهِ فانما يظنون ان هناك شيئاً من الاشعاع او اهتزاز الهواء بحيث تصدر عنهُ امواجٌ تصدم الدماغ فتوهمهُ حصول حادثٍ معلوم كما ان الاشياء التي نراها لا ندرك وجودها بالحسّ بها فعلاً بل بانتقال صورها الى الدماغ . والرأي الغالب على ان نفس المشرفِ على الموت تؤثّر عن بعدٍ في نفس غيرهِ من الاحياء بطريق الدماغ وما يترآى لهذا من انتقال الاشياء من مكانٍ الى مكان وما يتمثل لهُ من الاشباح والخيلات وما يقع على سمعهِ من الاصوات كلها اوهام تتعاقب في دماغهِ وهو في تلك الحالة . ولم يرَ العلماء في ذلك شيئاً من وراء العقل فاننا اذا اخذنا آلتين موسيقيتين وضربنا على اوتار احداها احدث اهتزازها اهتزازاً لأوتار الاخرى ولو بعيدةً عنها لان تموجات الصوت ينقلها الهواء بصورة خفية . أوَليس الفونوغراف ينقل اهتزازات الصوت من بلادٍ الى بلاد فيُردّد على اسماعنا الكلام والانغام . أَولسنا ونحن على بعد ملايين من الاميال عن بعض الاجرام السماوية نتمكن من تصويرها بواسطة اشعة النور . اليست اشعة رنتجن تخترق الاجسام الجامدة وتكشف لنا ما وراءها من صور الاشياء . أليس الدماغ مرجع كل ما نشعر بهِ من فرح او ترح او ألم ومع ذلك فنحن نظن ان الالم محصور في العضو الذي يقع عليهِ الفعل . فلو احترقت يد انسانٍ لظن الالم محصوراً في يدهِ او كُسرت رجلهُ فالامر كذلك مع اننا لو قطعنا الاعصاب الواصلة ذلك العضو بالدماغ لما شعر باحتراق يدهِ وانكسار رجلهِ لانقطاع خط الصلة بينهما وبين الدماغ موطن كل شعور . واغرب من هذا ان الشعور بوجود الذراع مثلاً لا يترتب على وجودها فقط فان كثيرين من

فاقدي الذراع الواحدة او الرجل الواحدة يشعرون بها كما لو كانت لم تزل موجودة فاذا قرس البردُ حاولوا سترها تحوّطاً فان جنديًّا اطارت كرات المدافع رجلهُ كان اذا جاء الشتاء يشعر بآلام في رجلهِ المفقودة ولاسيما اذا جن الليل وارخي الظلام ستارهُ

ويقال ان جنديًا من جنود نابوليون الاول فقد رجليهِ في الذودِ عن بلادهِ واستبدلهما برجلين من خشب ثم احسَّ ببرد شديد في رجليهِ المفقودتين فاشعل نارًا وادناهما منها ليصطلي فاشتعلتا ومات ضحية هذا الوهم . وبالجملة فان تولد الافكار واشتراكها انما ينشأان عن اهتزاز الدماغ وما يتفرّع عنهُ من اهتزاز المجموع العصبي. ويذهب العلماء في ايضاح ذلك الى مقابلتهِ باهتزاز وترٍ موسيقيّ فان كلّ جزءٍ صغير من اجزائهِ يهتزّ على حدتهِ وكذلك الدماغ اذا اهتزّت ألياف جزءٍ منهُ بتأثيرِ فكر فيها فلربما اهتزت الالياف المجاورة لها ايضاً فينشأُ عن ذلك اشتراك في الافكار الحاصلة . وعليهِ فكل حركةٍ في الفكر يقابلها حركة في الدماغ وهو ما حمل دعاة العلوم السرية على الاعتقاد بالشعور عن بعدٍ. ولا يسعني المقام أن اورد جميع الامثلة والبراهين التي يذكرها هؤلاء في كتبهم فاكتفي بما تقدم مضيفاً اليهِ ان التأثير الذهني اذا كان بالغ الشدَّة قتل بقوّة ما يحدثهُ من الاهتزاز الشديد في الدماغ كما انَّ اعتقاد المرء انهُ مريض او مكسور اليد او مصدورٌ او مشرفٌ على الموت كافٍ لانشاء الشعور بالالم في ذلك العضو واحيانًا لاحداث الموت

ويزعم هؤُلاء ان اصدق دليلٍ على التأثير الذهني او انتقال الفكر من دماغ انسان الى دماغ انسانٍ آخر انما هو ما يرى في حوادث النوم العصبي مما لا يبقى معهُ محل للريبة والالتباس من ذلك ما حدث في مدينة ننسي بفرنسا في ٩ كانون ثاني سنة ١٨٨٦ الغابرة للاستاذ ستانسلاس غيطا والدكتور امبرواز ليبو فانهما عقدا اجتماعًا في بيت هذا الاخير حضرهُ كثيرون واستقدما آنسةً تدعى لويز وبعد ان أُنيمت نومًا عصبيًا أُمرت ان تجاوب على الاسئلة التي يتصوّرها الدكتور ليبو في ذهنهِ دون ان يتفوّه بكلمةٍ او يشير الى شيءٍ فوضع الدكتور يدهُ على جبينها هنيهةً وتصوّر في فكرهِ السؤال الآتي "متى يتمّ شفاؤُكِ" فاجابت بصوتٍ سمعهُ من حضر "قريبًا ان شاء الله" فأُمرت حينئذٍ أن تعيد السؤال الذي قرأتهُ في فكر الدكتور ليبو فاعادتهُ بحرفهِ وعقب هذا دنا منها الاستاذ غيطا وبعد ان وضع يدهُ على جبينها تصوّر في ذهنهِ السؤال الآتي "اتعودين الاسبوع القادم" فاجابت "ربما" فأُمرت ان تعيد السؤال الذي قرأتهُ في فكر الاستاذ فاعادتهُ هكذا "أَتاتي انت الاسبوع القادم" فكانها اخطأت في قراءة كلمة واحدة فقط . ثم عمد الدكتور ليبو الى ورقةٍ ورقم عليها هذه العبارة

"إن لويز اذا استفاقت رأت برنيطتها السوداء حمراء" فاطلع الحضور على العبارة ثم جلس الاستاذ غيطا والدكتور ليببو امامها وهي لم تزل نائمة ووضعا ايديهما على جبينها وهما يفتكران في العبارة المارّ بيانها فلما افاقت وقع نظرها للحال على البرنيطة فقالت ضاحكة "قد بدلتم برنيطتي بما هو في شكلها وحجمها فلن ارضَ بذلك فاتركوا المزح وادفعوا اليّ برنيطتي" وبعد جدالٍ طويل سئلت عما تجدهُ من الفرق بين الاثنتين فقالت "أليس لكم عيون أليست هذه حمراء وبرنيطتي سوداء" ولم تزل تخبط في الاوهام حتى قال لها الدكتور ليببو ان البرنيطة ستعود الى لونها وتناولها بيديهِ ونفخ بفمهِ عليها بما اوهمها انها عادت سوداء فتناولتها شاكرة

اما النوم العصبي المعروف بالهبنوتزم فقد اكتشفهُ الدكتور جمس برايد سنة ١٨٤١ وقديمًا كانوا يخلطونهُ بالمغنطيسية الحيوانية وما جاءت بهِ من الغرائب في الاعصر الخالية لعهد كاغليوسترو وفاريا ومسمَر وغيرهم ذلك بان يتسلط المنوّم على النائم بقوة الارادة والنظر والاصوات المرتفعة فيصبح وهو على هذه الحالة طوع ارادة المنوّم يأتمر بامرهِ وينتهي بنهيهِ فيوهمهُ الماء القراح خمرًا والحجارة نارًا والهواء ارواحًا وينطقهُ ما يريد ولذلك تكوّن افكار النائم صدًى لافكار المنوّم فيتحدان فكرًا ورأيًا وعلمًا . وايضاحًا لذلك أروي لكم حديثًا للدكتور فيلبس عما وقع لهُ في تونس سنة ١٨٥٣ فانهُ دُعي لإنامة رجل امام جماعة من الادباء فاختار لذلك رجلاً عصبي المزاج وأنامهُ النوم العصبي وناولهُ حجرًا باردًا وكان قد الهمهُ بقوة الذهن انهُ انما ناولهُ جمرة محرقة فانقبضت عضلات وجههِ لشدة الالم وصار يتناقلها بيديهِ كمن قد احرقتهُ حرارتها ثم ناولهُ كاسًا من الماء القراح والهمهُ انهُ خمرٌ فما لبث ان شرب منها حتى بدت عليهِ امائر السكر وصار يخطر في مشيتهِ ويهتزُّ ويتبختر كالنشوان

ومن غرائب ما صنعهُ الدكتور شاركو في باريس إبان قيامهِ على معالجة المصابين بالامراض العصبية الحادة وداء النقطة والهستيريا وسائر الامراض الدماغية انهُ كان يوقع الواحد منهم في سباتٍ بتوجيه النور الكهربائي على عينيهِ او بقرع ناقوس قرب اذنيهِ. وقد شهد جمهور الباريسيين عدة حفلات اتخذها لتلك الغاية فكان يحدث النوم السباتي بتصويب النور الكهربائي على عيني المريض فلا يأتي عليهِ دقائق قليلة حتى يجمد نظرهُ وترتخي اعضاؤُهُ بحيث يتمكن المنوّم من تغيير وضعها فتتغير لذلك هيئة وجهِ النائم فاذا رُفعت يداهُ الى فمهِ كمن يقبّل شيئًا ابتسم ثغرهُ واذا رُفعتا الى الامام كمن يدافع عن نفسهِ ظهرت امارات الغضب عليهِ . وقد احدث شاركو ببراعتهِ في هذا الفن اثرًا مذكورًا في نفوس الفرنساويين بما وصل اليهِ طَولهُ من احداث الشخوص تارةً والسبات أُخرى ذلك بانهُ اوقع النور الكهربائي على عيني انسانٍ فأنامهُ نومًا

سباتيًا فاصبحت اعضاؤُهُ جميعها خاضعةً لارادتهِ فرفع رجل النائم وأمرهُ ان يبقيها مرفوعةً فبقيت ما شاء وكذلك يدهُ وباقي اعضائهِ ثم صوَّب النور نحو احدى عينيهِ فقط فاضحى نصف جسدهِ في سباتٍ والنصف الآخر في شخوص بما اصار النصف الاول خاضعًا لاوامر شاركو واخرج النصف الثاني عن سلطتهِ والعكس بالعكس. وقد استعان هو وزملاؤُهُ بالنوم العصبي في معالجة الامراض العصبية واستعاضوا بهِ عن الكلوروفورم في الجراحة ذلك اذا كان المريض عصبيَّ المزاج متهيئًا للانفعال والقبول يتأثر لاقل حادث وقصَّروا عن تنويم من كان قويَّ البنية جيد الصحة من ذوي الامزجة الاخرى

ومن اغرب ما يذكر عن حالة النائمين على نحو ما تقدم انهم لا يعدمون الرشد والادراك فيعقلون ما يسمعون ويفعلون ما يؤْمرون بهِ ويكتبون اسماءهم وبعض الاجوبة التي يريدها الطبيب مما سيأْتي ذكرهُ في تتمة هذا البحث لانهم يسمعون صوت الطبيب عند ما يأمرهم بأن يأْتوا حركةً او عملاً معلومًا ولضعفِ ارادتهم واعتلال صحتهم يستمكن منهم حكم العادة مما يثبت ان النوم العصبي لا يزيد على ما قدمنا والاَّ لم يكن المرءُ مسؤُولاً عن اعمالهِ وساغ لكثيرين من المجرمين ان يدَّعوا العذر في ما يجترمون

واما محادثة ارواح الموتى فقد شغلت اذهان فريق من العلماء منذ اقدم القِدَم فزاولوها باساليب وطرق غريبة وابتنوا لمشايعيهم المنتديات يختلفون اليها في مواقيت معلومة لممارسة هذه الطريقة يفتتحون الحفلات بصلواتٍ يتلونها استعطافًا للارواح السابحة في الافلاك الحائمة حول الارض . ومن معتقد هؤُلاء ان للنفس جسدين جسدًا ماديًا وجسدًا بخاريًا شفافًا وان هذا الجسد البخاري الشفاف ينفصل احيانًا عن الجسد المادي فتتكاثف اجزاؤُهُ الدقيقة ويظهر للعيان بشكل خيال وان النفس انما تنفصل بالموت عند الجسد المادي وترتدي الجسد البخاري فتطوف العالم تحادث الاحياء وتعاونهم علي ادراك رغائبهم . ومن مزاعمهم انَّ ما يحدث من الغرائب انما يصدر عنها على ان محادثة هذه الارواح الخالدة انما تجري بشفاعة الوسطاء ممن حصلوا بطول المزاولة وبرقة مزاجهم العصبيّ السريع الانفعال على الملكة الراسخة في هذا الفن وهم ايضًا خاضعون لسلطة اساتذة الفن الذين يملكونهم بشيءٍ من النوم العصبي

واليكم تفصيل محادثةٍ جرت في لندن سنة ١٨٩٨ في بيت المستر هوجسن فانهُ استقدم اليهِ وسيطًا يدعى پايبر مشهورًا بمحادثة الارواح ليستعين ببعد نظرهِ على مخاطبة صديقٍ لهُ يدعى پلهام كان قد أخذ على نفسهِ ان يظهر لهُ بعد الموت ويأتيهُ بالخبر الصادق والقول الفصل عن اسرار العوالم الروحية فانتبذ هوجسن احدى زوايا الغرفة وجلس والدبلهام بجانبهِ وامامها

الاستاذ فنوت وجلس الوسيط امام مائدةٍ في منتصف الغرفة وبعد ان شخص طرفةً من الزمن واختلجت اعضاؤُهُ سأَلهُ الاستاذ عما انكشف لهُ من وراء حجاب الغيب فاجاب انهُ يتكلم بلسان روح جورج بلهام المشوق الى عناق والده فسأَلهُ والدهُ بلسان الاستاذ فنوت ان يذكر الامور الخطيرة التي وقعت لهُ في حياتهِ فذكر شيئاً منها بلسان الوسيط وأَتى على وصف غرفتهِ وتحديد ما يجاور دار والدهِ من البيوت والرياض فدفع الاستاذ الى الوسيط قلماً وقرطاساً فصارت يدهُ تكتب ما ينزل عليهِ من حديث الروح جواباً على خطاب والدهِ فكتب العبارات الآتي تعريبها " لقد استيقظت الآن لادراك ما في الخلود من الحقائق فاحسبني كنت لاول الامر في ظلام حالك بما استولى عليَّ من هول الموقف في عالم الارواح وسيكون من همي ان اراكم واحادثكم حيناً بعد حين فانني اسمع ما تقولون واصواتكم تقع على مسمعي كاصوات الدفوف واما صوتي فيكاد سمعكم لا يدركهُ لضعفهِ وانخفاضهِ " كل ذلك والوسيط يرقم العبارات بسرعة غريبة وعيناهُ تنظران الى الاعالي فلما فرغ من الكتابة وقع القلم من يدهِ وتدلت فقال والد بلهام مخاطباً روح ولدهِ " يا بنيّ أَدهشتَ اذ نظرت نفسك حيًّا بعد الموت " فاختلجت يد الوسيط ثم عادت وتناولت القلم ورقمت الجواب الآتي " ادهشني ذلك ولاسيما اني لم اكن اعتقد بالحياة الآتية بل حسبت ذلك فوق ادراك البشر فاننا معاشر الارواح اذا انفصلنا عن الجسد المادي ارتدينا الجسد البخاري الشفاف " وهنا سكت الروح عن الكلام . ولقد قدمنا ان محادثة الارواح ضربٌ من النوم العصبي فلا حاجة الى الاعادة

اما ظهور الارواح فلا يسمح لي ضيق المقام ان اذكر حوادثهُ تفصيلاً لان كثيرين من علماء هذا الفن يتوسلون الى اظهار الاجساد البخارية الشفافة بطرق الشعوذة والتمويه يتخذون المرايا وانعكاس النور سبيلاً الى تمثيل جسد الاسكندر او ارسطو او ابقراط وسواهم من الفلاسفة والمشاهير انما بقي عليَّ ان أُلمَّ بمحادثة الارواح القارعة والموائد الدوارة . اما هذه فقد عمَّ استعمالها واستأْنس الجميع باسرارها فانما هي عبارة عن مائدة مستديرة ذات عمود واحد ينتهي بثلاث ارجلٍ تسهيلاً للحركة يحدق بها ثلاثة او اربعة او اكثر من الناس يضعون اطراف اناملهم عليها ويشخصون برهة من الزمن فلا تلبث ان تتحرك فيرفعون اياديهم عنها فتدور على ارجلها متقدمة الى الامام ويعلم الجميع ان هذه الحركة تنشأُ في الغالب عن فعل فاعلٍ يدفع المائدة بخفة فتدور على نحو ما تقدم وكثيراً ما يكون الفاعل وسيطاً يجلس بين هؤُلاء ويفعل ذلك بامر الاستاذ لما لهُ من السلطة عليهِ كما يحصل في النوم العصبي وقد اسلفت ان لمزاولي هذا الفن منتدياتٍ وهياكل وصلوات فاذا اجتمعوا لمحادثة الارواح تلا الاستاذ

الصلاة الآتية " نسأل الله القادر ان يبعث الينا بالارواح الصالحة هدًى واستصلاحاً ويقصي عنا الارواح الخبيثة فيقينا حبائل مكرها وتجاربها وان يرشدنا بنورهِ " — الى ان يقول — "ايتها الارواح الصالحة ارشدينا سواء السبيل وانفي عن اذهاننا حبَّ الذات والكبرياء والحسد لنتجاوز عمن اساء الينا من امثالنا "

وقد حار الناس في اواسط القرن التاسع عشر في امر الارواح القارعة وفي ما أتى الوسطاء في محادثتها فلقبوهم بالعجائبيين ولم يصلوا بعد طول البحث وزيادة التدقيق الى رفع براقع التمويه عما استنبط هؤلاء من الحيل لستر اعمالهم وممن نبغ في الفن عقيلة فوكس وابنتاها نحو سنة ١٨٥٢ في الولايات المتحدة فقد أتينَ اعمالاً طار ذكرها في الآفاق فكثر تحدث الناس بهنَّ واكثروا لهنَّ من العطاء والرفد وبالجملة فانهنَّ كنَّ يحادثن الارواح فتجيب عن اسئلتهنَّ باصوات تقع على اسماع من حضر كقرع الابواب فان ايجاباً قرع الباب او المائدة او غيرها من اثاث البيت ثلاثاً وان سلباً صمتت الارواح . ومما يتخلل هذه المحادثات اصوات خفية اشبه بضرب الدفوف الصغيرة مما اخذ بافكار الناس واوهمهم ان وراء ذلك سرًّا لا تدركهُ الَّا الارواح الهائمة في الفضاء الى ان اتصل الدكتور شيف الى كشف هذا المعمَّى بحضرة المجمع العلمي بباريس فاثبت ان تلك الاصوات انما تصدر عن جسد الوسيط يحدثها بتحريك عضلة من عضلات جسدهِ بصورة خفية بقبض ربلة الساق ودفعها على عظم الساق تباعاً فتحدث اصواتاً كقرع الابواب او ضرب الدفوف ومثلها فلكة الركبة اذا دفعت الى الامام ثم أُعيدت ولاسيما ان مقدرة بعض الناس على تحريك بعض عضلات الذراع والاوراك وفلكة الركبة على هذا النمط ثابتة عند الاطباء . ولما شاع ذلك وذاع دعا قومٌ من الاطباء ابنتي فوكس الى حفلة وراقبوا حركة فلكة الركبة على نحو ما تقدَّم فتحققوا صدق الدكتور شيف وهكذا كشفوا نقاب الوهم عن اذهان الناس جميعاً

اما الرؤْيا فهي ما يتراءَى للمرء في نومهِ من الصور او يتصوَّر حدوثهُ من الحوادث فانها تتعاقب في ذهنهِ باسرع من لمح البصر يكاد يشهد منها في ثانية ما يقتضي اياماً وشهوراً اما منشأُ اكثرها فعن اخلاطٍ في معدة النائم او انزعاجٍ في وضع جسمهِ او ضيقٍ في تنفسهِ او مماسة جسمٍ غريبٍ لاعضائهِ وما يعتريهِ احياناً من عطشٍ او جوعٍ او بردٍ او مرضٍ فانها كلها تحدث تأْثيراً في فكرهِ لان اشتغال الفكر في اليقظة بامرٍ معلومٍ واستقرار النفس بكليتها عليهِ انما يحدث اثراً في الدماغ والمجموع العصبي يستمرُّ في حال النوم ويتفرع عنهُ افكار اخرى لم تكن في الذهن ولا في الحسبان فقد يتفق ان يتحقق بعضها في اليقظة بعد الرؤْيا بايام مما لم

يقع حتى الآن تحت الحصرْ الاَّ انهُ بمكانٍ عظيم من الغرابة من ذلك رؤْيا زوجة يوليوس قيصر فانها حلمت بقتل زوجها ونصحت لهُ ان يجتنب الخطر المحدق بهِ فلم يعبأْ بكلامها فمات مقتولاً ورؤْيا قارون اذ حلم ان ابنهُ آتيس لا يموت الاَّ قتلاً فاصابهُ سهمٌ قتلهُ اذ كان يصيد . واغرب من هذا ما وقع للموسيقي الشهير ترتيني فانهُ قصَّر في اليقظة عن تأْليف احد اصواتهِ الشهيرة فادركهُ النعاس وهو في الجهد والعناء فاتاهُ ابليس في نومهِ وقال لهُ "ان سلطتني على نفسك اسمعتك ما شئت من الاصوات وفرَّجت كُربتك" فاجابهُ ترتيني الى ذلك فأَخذ ابليس القيثار واسمعهُ الصوت الذي لم يقتدر عليهِ فاستيقظ ترتيني ورقم للحال ما سمع في نومهِ فاذا هو الصوت الذي يريدهُ . وقد ذكر ڤولتير انهُ حلم ليلة بعدة ابيات من الهنريات قصيدتهِ المشهورة . والامثال على ذلك كثيرة لا يسعنا المقام تعدادها . ومما يزعمهُ فلاماريون ان الفكر لا ينام تماماً وان استولى عليهِ فتور اي ان عملهُ قد يكون اذ ذاك منحصرًا في ذاتهِ لا تشعر النفس بهِ ولا يرسم منهُ شيءٌ على لوح الذهن وان المرء لا يذكر من احلامهِ الاَّ النزر اليسير مما يكون قد احدث اثرًا عظيمًا في نفسهِ وقد لا يذكر هذا ايضاً كما انهُ لا يذكر من الافكار التي تتعاقب في ذهنهِ وهو في اليقظة الاَّ ما يكون اثرهُ باقياً في مخيلتهِ فاننا اذا ايقظنا انساناً مستغرقاً في نومهِ قام وحدثنا بامورٍ وافكارٍ قد تكون متضاربةً وقد تكون منسوقةً بما يسدّد الدليل على ان عمل الفكر يستمرّ في حالة النوم ايضاً وخالفهُ في ذلك كثيرون من نُطس الاطباء . ونحن نرى ان مثل هذه الاحوال يتعذَّر تمحيصها وتنقيتها مما يشوبها من داخلة الريبة والغموض . هذا ما وقعت عليهِ في هذا الباب من خطرات افكار العلماء وزبدة آراء الفضلاء رويتهُ لكم على مكان بعضهِ من الغرابة والله اعلم بمكنونات الامور . انتهى

* * *

رواية امينة

الفصل الرابع

ونهضتُ في الصباح بعد ليل لم اذق فيهِ طعم الكرى واخذت أَلبس ثيابي وفُتح الباب ودخلت بوار وقالت اذنت لنا الهانم ان نزور بيت حميدة فالبسي حالاً وهلمي معي. قالت ذلك وخرجت مسرعةً . فسررت بهذا الخبر لانني كنت اودُّ الخروج من البيت وقبل ان لبست يشمكي دخلت وحيدة هانم وقالت بلغني انكِ ذاهبة فاتيت لاساعدك اجلسي لكي اضع لكِ اليشمك . ثم جعلت ترتب شعري ووضعت اليشمك على رأْسي وشكلتهُ على حسب ذوقها

وقالت لي لا اخفي عليكِ يا امينة ان داود بن حميدة استأذن امي في ان يكتب كتابهُ عليكِ ثم لما قالت بوار امس انكِ ذاهبة اليوم الى هناك اخبرت امي ابي بذلك وسألتهُ عما اذا كان ذهابكِ الى هناك لائقاً . فقال ان لا مانع من ذهابكِ لانهُ لم يُكتَب كتابكِ حتى الآن . وستخبر بوار حميدة ان الكتاب يكتب في الاسبوع القادم

فقلتُ مضطربة " أيكتب كتابي "

فقالت نعم ولماذا خفتِ فان هذه هي مشيئة جدتك وقد اتفقت هي وحميدة على ذلك

فوضعت رأسي على يدي ولم أفه بكلمة وكنت اعلم اني لا اقدر ان اقول شيئاً لا سلباً ولا ايجاباً ولكن كانت حواسي كلها نافرة وانا اقول في نفسي كيف اقترن برجل وانا احب آخر

ولما رأت وحيدة هانم مني ذلك قالت لي بالله عليكِ لا تظهري هذا النفور امام احد لئلاَّ يظن انكِ لا تريدين ان يكتب كتابكِ عليهِ فيكثر القال والقيل . ارفعي رأسكِ ودعيني اصلح شعركِ ثانية ولا تعملي مثل المجانين ولا بدَّ لكِ من الزواج فان لم تسرَّ حميدة بمنظركِ فلا يمكن ان ترضيها بعد ذلك

ثم اوقفتني امام المرآة ونفشت شعري قليلاً ووضعت عليهِ عزيزية وردية ثم وضعت اليشمك وكانت حمرة الخجل قد صبغت وجنتيَّ فلم يسعني الاَّ ان اعترف لنفسي باني كنت يومئذٍ جميلة المنظر ثم عقدت نطاقي وألبستني الفرجية ودخلت بوار حينئذٍ فتركتني وحيدة هانم معها

وخرجنا من البيت سوية وسرنا حتى بلغنا السلاملك وكان المماليك مجتمعين هناك فكلم واحد منهم بوار بالشركسية فلم تجبهُ فقال بالتركية مازحاً انسيتِ لغتك يا حبيبتي وما عدتِ تتنازلين لمخاطبة رجل مثلي. فقال لهُ آخر وكنت سمعت انهُ ابن عمها " الحق في يدها لماذا تخاطبنا ونافذ بك امام عينيها — متى تصيرين كنة الباشا يا عزيزة "

فقالت لهُ " حينما تصير انت صهرهُ ولكن دعنا من الهزل يا شاكر آغا وتعال معي الآن ان امكن " . فقال لا اظن ذلك ممكناً لان الباشا لم يخرج حتى الآن ولكنني سأتبعكِ بعد خروجهِ فالى اين انتِ ذاهبة . فقالت الى اجيا صوفيا وننتظرك على الجسر . فقال نعم وهوذا مركبة الباشا فاسرعا من هنا

فخرجنا وسرنا وقلت لبوار لماذا طلبتِ من هذا الرجل ان يتبعنا . فقالت وما هو الضرر من ذلك فهو ابن عمي ويحق لي ان اتكلم معهُ. فقلت ولكن انا لا يحق لي . فقالت بالله عليك ماذا تفعلين في قريتكِ ألا تكلمين الرجال

فلم اجبها بشيء ولكنني شعرت بنفسي اننا لم نحسن في الكلام معهُ . وكنت اعلم ان

الجواري يكلمن هؤلاء المماليك كلما لاحت لهنَّ فرصة ويشعرنَ بقرابة تربطهنَّ بهم لانهم كلهم من بلاد واحدة . وبقينا ماشيتين الى ان بلغنا الجسر وبعد قليل وصل الينا شاكر آغا ومشى معنا وكانت بوار تكلمهُ بالشركسية وذكرا اسم نافذ بك مرارًا فانشغل بالي من جرَّاء ذلك لانني حسبتها تخبرهُ بما خامر ذهنها من حبهِ لي . ثم عادا الى التكلم بالتركية . فقال لها لا اقدر ان ارشدكِ الى احد ولكن قيل لي ان واحدةً كانت تسكن في آت ميدان . فقلت لها ماذا تريدين . فقالت مرادي ان امضي الى امرأة ساحرة ويقول شاكر آغا ان في آت ميدان عرَّافة ساحرة ثم التفتت اليهِ وقالت أبعيد المكان من هنا. فقال كلاَّ بل هو قريب جدًّا قرب السر عسكرية ثم قال لي ما قولكِ يا امينة هانم. فقلت كما تريد بوار. ولم اكن اريد ان نذهب الى هناك ولكن تعذَّر عليَّ ان ابدي رأيي . وظهر لي ان شاكر آغا يعرف الطريق الى العرَّافة جيدًا مع انهُ ادَّعى انهُ لا يعرفها حتى اذا بلغنا باب بيتها قرع الباب بعصاهُ ففتح لنا وأُدخلنا الى غرفة العرافة واذا هي جالسة امام منقل فلما وقع نظرها علينا نهضت وطرحت قليلاً من البخور في النار . واسرَّت بوار في اذني قائلةً اطلبي منها ان تخبرك عن بختك اولاً فانغضت رأسي وانا اقول في نفسي انها ان كانت عرَّافة افشت من سري ما لا اريد افشاءهُ وان لم تكن فلا فائدة من كلامها . فتقدمت بوار اليها وقالت لا اريد ان تبصري لي بختي ولكن ان تساعديني في امر اخبرك بهِ سرًّا . ثم مشت معها وابعدتا عنا وعادت بوار بعد قليل وجعلت تكلم شاكر آغا بالشركسية . وفهمت حينئذٍ ان بوار طلبت من العرَّافة ان تكتب لها عوذة لكي يحبها نافذ بك فاسفتُ جدًّا لانني اتيتُ معها ولكنني عدت ولمت نفسي على ذلك وقلت خير لهُ ان يحبها ويقترن بها لانهُ لا يغيظ احدًا اذا فعل ذلك اما انا فلا امل لي بهِ على الاطلاق ولا بدَّ لي من احتمال بعادهِ بالصبر مهما كان مرًّا . وعادت العرَّافة وبيدها ورقة ملفوفة وقالت لبوار اطمروا الورقة الحمراء تحت عتبة غرفتهِ لكي يمشي من فوقها. فذعرت بوار من ذلك وقالت لها ان تخفض صوتها فخفضتهُ واعطتها ورقة بيضاء وقالت لها عنها شيئًا لم اسمعهُ واعطتها بوار جنيهين وانصرفنا من بيتها

ولما خرجنا اعطت بوار الورقتين لشاكر آغا فاخذهما منها ومضى وسرت انا معها الى بيت حميدة فاستقبلتنا بمزيد الترحاب وانفردت بوار بحميدة وابلغتها وصية الهانم وكنت اعرف مؤدَّاها وقد سلمتُ امري للاقدار ورأيت شيئًا من السلوى في المقابلة التي قابلتني بها حميدة وزوجها فانهما قابلاني كوالدين حنونين ذكَّراني بابي وامي . وقلتُ في نفسي انهُ اذا امكنني ان اسلو نافذ بك عشت معهما عيشة الرضى والسرور . ولم ارَ داود في البيت لان اباهُ اخبرهُ بمجيئنا

فبقي في السوق . ثم اشارت علينا حميدة ان نذهب الى النزهة بعد الظهر فلما خرجنا من البيت كان داود جالساً في قهوة قريبة فمشى وراءنا لحراستنا . والتفتُّ اليهِ مراراً فرأيتهُ بشوش الوجه مثل ابيهِ لكنهُ عريض الحاجبين حتى اذا بلغنا الجسر نادى امهُ وقال لها اننا ان كنا نريد الذهاب الى ايوب سلطان فيمكنهُ ان ينزلنا في قارب من هناك فسرَّت بوار بذلك ونزلنا في قارب وقطعنا الى الجهة الاخرى من البسفور الى ايوب سلطان وكنت كلما التفت اليهِ اراهُ ناظراً اليَّ

وسرنا بين القبور في ايوب سلطان وكان الحر شديداً جدًّا فاخترت بقعة فيها حشيش وجلست فيها لاستريح. وكان الازدحام شديداً في المقبرة ورأيت بين الناس كثيرين من ذوي المقامات العليا على غير المعتاد فاخذت اسلي نفسي بقراءة ما على القبور من الكتابة ثم جعلت افكر في ما آل اليهِ امري وبينما انا غائصة في بحار الافكار سمعت صوتًا مألوفًا فالتفت واذا نافذ بك ماشٍ مع ياورٍ من ياورية السلطان وللحال خطر ببالي ما سمعتهُ البارحة عن موت ابن يوسف باشا ومجيء نافذ بك في جنازتهِ بالنيابة عن ابيهِ وكنت اعلم اني لم اجنِ ذنبًا بمجيئي الى هذا المكان ولكنني لم ارد ان نتقابل فيهِ فقمت بعد ما مرَّا والتفت الى بوار وحميدة فلم ارهما ولكنني رأيت داود واقفًا على بضع خطوات مني متكئًا على شجرة والظاهر انهُ كان يحرسني . وكنت اعلم انهُ لا يليق بي ان اكلمهُ ولكن قضت الضرورة عليَّ وقلت انهُ يعلم ذلك و يغتفرهُ فتقدمت اليهِ وقلت لهُ اين امك و بوار . فقال لا اعلم اتريدين ان نتبعهما . فقلت نعم لان نافذ بك هنا والاحسن ان لا يرانا فقال اذًا اذهب وادعوهما فهل يغتاظ اذا رآك هنا. فقلت اظنهُ لا يريد ان يرى جاريتهُ هنا

فلم يفهم كلامي جيداً على ما ظهر لي ولكنهُ فهم اني اريد ان يدعو امهُ وبوار فدار وقال لا اعلم اين ذهبتا ولكنني امضي وافتش عنهما قال ذلك ودار ومضى وسمعت حينئذٍ واحداً يناديني باسمي فالتفت واذا نافذ بك ورائي والغيظ في وجههِ فقال لي من هذا الرجل ولماذا انتِ هنا فقلت لهُ ان امك سمحت لنا بالذهاب الى بيت حميدة ثم اتينا الى هنا للنزهة . فقال ولكنكِ لم تجيبيني عن سؤالي الاول وهو من هذا الرجل الذي كنتِ تتكلمين معهُ

فقلت هو داود بن حميدة وقد ارسلتهُ ليفتش عن امهِ و بوار

فقال لماذا بعدتِ عنهما وكيف تمشين وحدكِ مع رجل بلغت الوقاحة منهُ ان طلب الاقتران بكِ

فلم اجبهُ لأنَّ كلامهُ اغاظني جدًّا ولم اكن انتظر ان يكلمني بمثل هذا الكلام مهما كان فضل والديهِ عليَّ كبيرًا لاني لست جارية من جواريهما

ولما رأى اني لم اجبهُ قال أتريدين ان تقولي لي انكِ تعرفين ابن البقال هذا من زمان طويل وانهُ طلب الاقتران بكِ برضاكِ

ولما سمعت منهُ هذا الكلام ورأيت ما فيهِ من الكبر والخيلاء اخذتني الانفة وقلت لهُ ان كان هو ابن بقال فانا ابنة حداد

فقال مزدرياً احسنتِ ويسرُّني انكِ عرفتِ مقامكِ ولكن ما دمت في دارنا يجب عليكِ ان تعرفي شروط اللياقة فلا يناسب سمعتكِ ان يقال انكِ كنتِ تتكلمين مع حبيبكِ وحدكما في مثل هذا المكان

فلجمتُ لساني عن اجابتهِ ووقف هو صامتاً برهةً ثم قال كنت اظنكِ افضل من هؤلاء الشركسيات فاخطأت ولذلك ارجو ان تنسي كل ما اطلعتكِ عليهِ. ثم ادار وجههُ عني وقد ألمني قولهُ ألماً انطق لساني غصباً عني فقلت لهُ " لا حقَّ لك يا مولاي ان تكلمني بمثل هذا الكلام اما من جهة ما تطلب مني ان أنساهُ فانا افعل حسب طلبك عن طيب نفس لان ما اطلعتني عليهِ قد ألمني اكثر مما سرَّني "

ولم التفت الى وجههِ حينما قلتُ هذا القول ولذلك لا أعلم ما كان تأثير كلامي فيهِ ووصلت حميدة وبوار حينئذٍ وجعلت حميدة تسلم عليهِ فلم يلتفت اليها بل امر بوار ان تعود الى البيت حالاً لان الشمس كادت تغيب ولا تصل الى البيت قبل العتمة . فمشينا وكانت بوار وحميدة تتأسفان لانهُ التقى بنا هناك اما انا فكنت لا أعي على شيءٍ لفرط ما حلَّ بي من الغيظ والكرب ونزلنا في قايق حتى اذا وصلنا الى قباطاش شكرت بوار داود وافترقنا ونظر اليَّ داود نظر المستفحص ليعلم سبب اضطرابي فتجلدت على قدر طاقتي وكاد وجهي يحترق من الخجل

ومرَّ بنا نافذ بك بقايقهِ ونحن في البوغاز وكان في قائقهِ اربعة رجال يجدفون فوصل الى البيت قبلنا فلما دخلنا اوقف بوار وقال لها رأيتك في الصباح قرب السرعسكرية مع شاكر اغا ثم رأيتك في المساء مع داود في ايوب سلطان فهل تظنين انني اسكت عنكِ وانت جارية من جواري ابي

ولما قال ذلك امتقع وجه بوار وارتخت مفاصلها حتى كاد يغمى عليها فاسندت يدها على كرسي وقالت يا سيدي وكأنها قصدت ان تنكر ذهاب شاكر آغا معنا فقال لها نافذ بك ايَّاك والكذب فاني سألت شاكراً عنكِ فاخبرني لماذا ذهبتِ والى اين ذهبتِ . وانتِ تعلمين اني اذا اخبرتُ امي ضربتكِ حتى الموت . ولكن الذنب ليس كلهُ عليكِ ولذلك لا اخبر امي واياكِ والذهاب مع امينة مرة اخرى اذا ارادت ان تذهب الى العرافين ليكتبوا لها عوذ المحبة

او ان تلتقي بحبيبها في ابوب سلطان فانت تحت امري واما نجي فالشكر لله انها ليست تحت امري

وحاولتُ ان اجيبهُ وانفي هذه التهمة عني ولكنهُ سار في طريقهِ قبل ان اقول شيئاً. ووقفتُ مدهوشة يكاد قلبي ينصدع من الغم والكرْب ونظرتْ بوار اليَّ وكأَن همومها فُرّجت عن صدرها. وعلمتُ حينئذٍ ان لا امل لي بان كرم اخلاقها يحملها على اظهار الحقيقة والمدافعة عني ولم اشأ ان الجأَ اليها لاني علمتُ انها لا تلبي طلبي فصعدتُ الى غرفتي وانطرحت على الديوان وقلت في نفسي ان شاكر اغا عالم بان نافذ بك اشترى بوار لتكون زوجةً لهُ ولا بدَّ من ان يتزوَّج بها يوماً ما فمن مصلحتهِ ان يرضيها ويدافع عنها ولا بدَّ من ان يكون قد القى اللوم كلهُ عليَّ

ولما صوَّرت لنفسي الحالة التي يراني فيها نافذ بك حينئذٍ ضاقت الدنيا في عينيَّ وغلبتني العبرات فاخذت ابكي وانتحب ولكنني عدتُ وتجلَّدت وقلت لعل الله دبَّر ذلك لخيري وخيره فاخرج من هذا المكان ويمنع الشقاق الذي كان لا بدَّ منهُ بسببي

ولما نزلنا الى العشاء رأَيت نصرالله باشا آتياً ليتعشَّى في دار الحريم مع اولادهِ فتقدمت اليهِ حسب العادة وقبلت يدهُ وبدَ هانم افندي ويد ادهم بك وكان لا بدَّ لي من ان اقبل يد نافذ بك ايضاً لانهُ معهم فلما دنوتُ منهُ لم يرد ان يعطيني يدهُ بل قال لقد رأَيتك منذ خمس دقائق قال ذلك من غير ان يلتفت اليَّ فضحكتْ وحيدة هانم وقالت ان نافذ بك يكره هذه العادة وقد جاءنا من باريس بافكار جديدة مع انهُ لم يقم فيها سوى ثلاثة اشهر ولم يعد يريد ان يقبِّل احد يدهُ. وقالت ولية هانم لا ادري كيف يقيم بك افندي عشر سنوات في باريس ويعود منها تركيًّا قحًّا واما اخوهُ فتغيرهُ ثلاثة اشهر تغييرًا تامًّا

فضحك ادهم بك حتى استلقى على ظهرهِ وقال ان جلدي سميك لا يتأَثر ولكن اذا اردتِ ان تمدحيني فلا يكون المدح على هذه الصورة لان التركي القح مذموم في هذه الايام. ولا انكر اني من الطراز القديم وامس سمعتُ واحداً من المستخدمين عندي يقول ان ادهم بك تركي قح مع انهُ يتكلم الفرنسوية مثل الفرنسويين. فقال لهُ علي بك وماذا قلتَ لهُ. فقال لم اقلْ شيئاً لانهُ كان يودُّ ان اشرح لهُ بالفرنسوية ورقة اريد ان يكتبها بالتركية. وارى المستخدمين يطيعونني ولكني لا اراهم يحبونني لانني صارم لا اوافقهم على سخافة عقولهم ولا اعذر احداً من الذين يسكرون ويقامرون حاسبين ان الاقتداء بالاوربيين يقوم بمثل ذلك وان التمدُّن يقتضي التهتك

فقال علي بك اني اشفق عليهم لانهم يحسبون انهم سائرون في طريق التمدن وان هذا هو الاقتداء بالافرنج

وقال نصرالله باشا لقد اصاب ادهم ولا اعني بذلك انهُ يجب ان نرجع الى الوراء ونتمثل باسلافنا الذين كانوا منذ تسعين سنة ولكن لا ارى احتقار لغتنا وامتنا من التمدُّن في شيء

فقال علي بك . ثم ان لغتنا نفسها لم تبقَ على ما كانت عليهِ بل اتسعت وتهذبت ألا ترون انهُ لم يكن فيها كلمة "شرَف" فأوجدت فيها وشاع استعمالها

فقال نافذ بك متهكماً كان معناها موجوداً ولفظها مفقوداً اما الآن فوُجد اللفظ وفقد المعنى

فالتفت اليهِ ادهم بك وقال لهُ ما شاء الله هذا تغيير جديد في نافذ والظاهر انهُ سيترك حزبهُ وينضم الى حزبنا

فقال نافذ بك كلاَّ لا اريد الانضمام الى هذا ولا الى ذاك لاني لا افهم ما هي مطالبهما وقد رأيت كثيرين من حزب تركيا الفتاة يتزلفون الى الترك القدماء ورأيت كثيرين من الترك القدماء يبعثون اولادهم الى اوربا لكي يربوا على الاخلاق الاوربية ثم يعودون عليهم باللائمة لانهم لم يبقوا مثل اسلافهم يبصقون على كل مسيحي ويحسبون الحكومة الدستورية خراباً للبلاد

فتهلَّل وجه علي بك وقال نشكر الله صار نافذ بك يبحث في السياسة . ولم اكن اعلم من اي حزب انت فهلمَّ اخبرنا ما هو رأيك في الاحوال الحاضرة

فانغض نافذ بك رأسهُ ولم يجب بشيء . وقالت ولية هانم ان نافذ بك غير راضٍ عن شيء منذ شهر من الزمان فلا ترسلوهُ الى الاناطول مرةً اخرى لان القصاص يقع علينا اخيراً

فالتفت نصرالله باشا اليهِ وقال اراك يا نافذ كأنك مريض فهل كان الحر شديداً في ايوب سلطان

فاجاب نعم كان شديداً جدًّا وبقينا هناك ثلاث ساعات ازهقت ارواحنا لان قبو المقبرة انصدع فاضطررنا ان نصلحهُ قبل الدفن فيهِ

فقالت امهُ اظنك كنت واقفاً في الشمس ويظهر لي كأنك مصاب بصداع في رأسك ياولدي

فقال لها ما بي شيء يا امي كوني مطمئنة وما هو الاَّ تعب يسير يزول بالراحة . فقالت عسى ان يكون الامر كذلك ولكن يظهر على وجهك انك مريض

ولما قام ليذهب نظرتُ اليهِ فاذا وجههُ كالتراب وحول عينيهِ دائرتان سوداوان فنسيتُ كل ما بدا لي منهُ من الاساءة واخذت لكن الفضة ودنوت منهُ عازمةً ان اكون البادئة في الصلح فنظر اليَّ وقال لا تتعبي نفسكِ ونادى الجارية مريم وقال لها خذي اللكن

منها . فاعطيتها اياهُ وسرت الى الشباك لاخفي ما جال في عينيَّ من الدموع وانا اقول في نفسي ما عاد يحسبني اهلاً لشيءٍ ولا لخدمتهِ

وشغلنا في اليوم التالي بالحزم والرزم وخرجت في العشيَّة الى الحديقة فرأَيت فيها ادهم بك ونافذ بك وكان نافذ بك قد اخذ يوسف ابن اخيهِ ووضعهُ على شجرة وهو طفل رضيع ووقفت امهُ ولية هانم امامهُ تتوسل اليهِ ان ينزلهُ لئلاَّ يقع . ولما وصلتُ دار والتفتَ اليَّ فبان لي كانهُ مريض فانهُ كان غائر العينين احمر الوجنتين مقطب الجبين ولما وقعت عينهُ على عيني حوَّل نظرهُ عني مغتاظاً وقال لامرأَة اخيهِ سأترك الولد حيث هو لانهُ يجب ان يتعلم ان يبقى وحدهُ. فقالت ليس على الشجرة بالله عليك انزلهُ والاَّ وقع خذيهِ منهُ يا امينة فانهُ يسمع منكِ

فوقفتُ حيرى لا ادري ما افعل لكن نافذ بك لم يتركني في حيرتي بل انزل الولد حالاً ووضعهُ على الارض وجلس بجانبهِ وقال لامهِ اطمئني عليهِ ولا ادري ما يريبكِ مني كأَن لي ثاراً عليهِ حتى تجنّي اذا مسكتهُ خمس دقائق

فقالت ما حيلتي وانت تنسى ان يديهِ ورجليهِ ليست من حديد ولا اريد الاَّ ان تتزوج لأَرى كيف تعامل اولادك

فقال دبري لي العروس وانا اتزوَّج اكراماً لخاطركِ

فقالت ما لنا وللهزل لماذا لا تقول لامك لتدبر لك عروساً فقد حان الوقت

فقال قولي لها عن لساني ولكني اخاف انها لا تأْخذ على نفسها هذا الامر الشاق . وقد كتبتُ مرةً قائمة الاوصاف التي اتطلبها في زوجتي واطلعت وحيدة عليها

فقالت وحيدة لم تطلعني انا لان ليس لي الشرف ان اؤتمن على اسرارك ولكني اظنك اطلعت امينة عليها

وخفت ان تكون عنت شيئاً بهذا الكلام فنظرتُ اليها ولما لم ارَ منها اقل اشارة نظرتُ اليهِ وكان مستلقياً على الارض ويداهُ تحت رأْسهِ والطفل جالس بجانبهِ يلعب بساعتهِ والظاهر ان كلام اختهِ جعلهُ يظن ما ظننتُ انا فنظر اليها مستفسراً ثم قال لا فرق عندي في مَن اطَّلع عليها اولاً وانا مستعدٌّ ان اتلوها عليكِ الآن اذا شئتِ . فقالت افعل اكراماً لخاطري فقال يجب اولاً ان تكون جميلة جميلة مثل — والتفت الى مَن حولهُ ليرى بمن يشبهها ولكنهُ لم يلتفت اليَّ ثم قال مثل ولية لاني لا ارى لماذا تكون امرأة اخي اجمل من امرأَتي

فضحكت وحيدة وقالت اشكري صهرك ياولية اما انا فلا أُعَدُّ بين الجميلات . مسكين بك افندي فان ذوقهُ لا يعتدُّ بهِ

فقال كلاَّ ولو كنتُ مكانهُ ما كنتُ أُقدِم على الاقتران ببنت نصر الله باشا ولاسيما بعد ان رأى ما رأى من اغا بك ومني

فقالت لهُ لماذا وما هو عيبك

فقال ألا ترين ما بي من العناد فلا بدَّ من ان يكون فيكِ بعض ما فيَّ واذا كنتُ على ما اقول فلا يحسن ان اقترن بامرأة عنيدة بل لا بدَّ من ان تكون امرأتي مثل المرأة التي يحكى عنها في القصص انها تنتظر زوجها في الباب والخبز والماء في يدها

فقالت ولية والعصا في اليد الاخرى لكي يأكل و يشرب ثم يضرب فان كان الامر كذلك يا حبيبي فلا عجب اذا كانت امك تستعفي من تدبير الزوجة لك وارجو ان تعفيني من القيام مقامها

فقال احسنتِ وهذا يريحني منكِ ومنها . وانتَ يا ابني الله يعطيك العافية

وكان الطفل قد اخذ يرجح الساعة بسلسلتها ثم ضرب بها ساق الشجرة

فصرخت ولية هانم ماذا فعل ماذا فعل هل كسرها قبحهُ الله لماذا اعطيتهُ اياها

فقال هل اقدر على ابنكِ وهو ابن والديهِ نعم كسرها قولي لزوجك ان يشتري لي ساعةً بدلاً منها

واخذ الساعة من الطفل فوضع الطفل اصبعهُ في فيهِ وتهيأ للبكاء فقال لهُ كلاَّ كلاَّ خذ الساعة والف ساعة لا تسمعنا صوتك لان رأسي يكاد ينشقُّ

فالتفتت وحيدة اليَّ وقالت لي لا احد يقدر ان يسكت هذا الولد غيركِ . فتقدَّمت لآخذهُ من يدهِ وقبل ان وصلت اليهِ نهض على قدميهِ ودنا من اخيهِ واعطاهُ الطفل قائلاً انت اقدر من غيرك على تسكيت الناس . فاخذهُ ادهم بك منهُ واعطاهُ لزوجتهِ وقال لها لا تسليهِ اياها اذا اردتِ ان يبقى سليماً ونشكر الله لان نافذاً يمل من لعبهِ ويتركها سريعاً . فقال نافذ بك نعم ولكنهُ لا يكسر قلوبها ولا ارجلها . فالتفت ادهم بك اليَّ ولم يقلْ شيئاً ثم جلس بجانب امهِ وقال لها ايمكننا ان نذهب غداً . فقالت " نعم ولا بدَّ من الذهاب غداً فان نافذاً مريض ولو انكر ذلك والتغيير يفيدهُ " . والظاهر ان نافذ بك لم يستطع الوقوف فجلس حالاً ولكنهُ قال لامهِ لست مريضاً كما تظنين نعم اني اشعر بشيءٍ من الصداع ولكنني غير مريض اما اذا اردتِ انتِ وابي ان تصرَّا على كوني مريضاً فليكن ذلك

فقالت نعم وقد لحظ ابوك منك ذلك البارحة وقال انك ستمرض . فقال اشكر فضلهُ وعسى ان يبقى ينظر اليَّ هذا النظر فلا يعاملني كما عاملني اخيراً

فقالت لهُ ولية لقد ذكَّرتني الآن فقل لنا ماذا قلت لهُ

فقال لم اقل شيئًا بل وقفت امامهُ مصابًا بالخرس لاني أحكَم من ان اتجاسر على مجاوبتهِ

فقالت اذًا ماذا قال لك هو . فقال قال لي اني مجنون فلم يفدني شيئًا جديدًا لاني علمت ذلك من نفسي والآن ما لنا ولهذا الحديث هلمَّ الى السلاملك اغابك فقد حان وقت العشاء

ولما سارا التفتت وحيدة هانم اليَّ وقالت لي ماذا جرى لهُ يا امينة . فقلت لها ما حضرني من الجواب بصوت منخفض فاكتفت بهِ ولم تعد تسألني ومن ثم لم يعد نافذ بك يكلمني ولا يلتفت اليَّ

الفصل الخامس

في اليوم التالي بعد وصولنا الى المصيف اضطرَّ نافذ بك ان يسلّم بانهُ مريض واشتدَّت الحمى عليهِ واستُدعي الطبيب فقال ان الحمي دماغية ورجح ان سببها وقوفهُ في الشمس زمانًا طويلاً في ايوب سلطان . فانقلب السرور الى غم واضطرت هانم افندي ووحيدة هانم وولية هانم ان يلازمن غرفتهُ نهارًا وليلاً . وكأَن هانم افندي آلت على نفسها ان تنقذ ابنها من هذا المرض ولو فدتهُ بنفسها فجلست امام سريرهِ لا تطرف لها عين ولا تنزل لها دمعة وزاد اكرامي لها لما رأيتها ساهرة على ابنها وبيتها معًا تدير العبيد والخدم كانهنَّ ساعةٌ في يدها . وكاد قلبي ينصدع حزنًا وغمًّا ولكني لم اكن لا عبأً بما حلَّ بي لان قيامي على جدتي وهي مريضة علمني تمريض المرضى وجعل لي شيئًا من النفع . وغاب نافذ بك عن وعيهِ حالاً ولكن خدمتي لهُ كانت تريحهُ جدًّا ولما رأت هانم افندي ذلك لم تعد تسمح لي بالخروج من غرفتهِ فشكرت الله على ذلك والاَّ لجننت

مَن جلس بجانب مريض عزيز لديهِ يعدُّ الساعات والدقائق ويرى علامات الصحة والمرض والقوة والضعف تتناوب امام عينيهِ ويشعر كأَن ملاك الموت يرفرف فوق عزيزهِ وهو يحاول ابعادهُ عنهُ بكلتا يديهِ يعلم الحالة التي كنت فيها والكرب الذي كنت فيهِ يومًا بعد يوم الى ان قال الطبيب انهُ جاز الخطر

ومضت ايام البحران كلها ولم يلفظ اسمي مرة ولا اشار اليَّ ولو اشارة لكن ذلك لم يؤلمني ولا كان لي وقت لافكر فيهِ

وذات ليلة صلحت حالهُ حتى اقنعنا هانم افندي بان تمضي الى غرفتها وتنام ولو ساعة من الزمان . فرضيت وتركتني بجانب سريرهِ لانها لا تركن الى الجواري . ومضت ربع ساعة وانا انظر اليهِ واسأل نفسي ترى هل كُتبت لهُ السلامة واذا بادهم بك قد دخل ولما احتفزت لاقف لهُ اشار اليَّ ان أبقى جالسة ووقف ينظر الى اخيهِ وكان قد صار جلدًا وعظمًا وكأَنهُ كان مثلي قليل الامل بشفائهِ . وتحرَّك نافذ بك حينئذٍ وفتح عينيهِ ونظر اليَّ ولم ينظر الى اخيهِ

وهذه اول مرة رأَيتهُ نظر اليَّ وعرفني ثم قال لي يا امينة يا حبيبتي أأَنتِ هنا اظنني مضى عليَّ زمان طويل وانا مريض تعالي الى هنا تعالي ودعيني الثم وجنتيكِ . فحرت في امري لكن ادهم بك نظر اليَّ وقال قومي اكراماً لخاطري قومي لاننا لا نستطيع ان نخالفهُ الآن والاَّ عرَّضنا حياتهُ للخطر . فقمت مكرهة وادنيت وجهي منهُ وانا اكاد اذوب خجلاً وشعرت كأَن شفتيهِ متقدتان وكأَني ارتكبت جريمة لا تغتفر . اما هو فتبسم اولاً ثم عبس وقال أَلم نتخاصم نعم ولكنني نسيت السبب نسيت السبب . كم مضى عليَّ وانا مريض اغا بك . فدنا ادهم بك منهُ وجعل يمهد وسادتهُ وقال لهُ مضت مدة طويلة توجب عليك الراحة التامة والآن يجب ان تنام ولا تتكلم . فقال امرك واغمض عينيهِ . فدار ادهم بك اليَّ وقال "نجا من الخطر ان شاء الله وانت سبب نجاتهِ يا عزيزتي ولكني ارى علامات التعب الشديد عليكِ فاين البقية" . وقد استغربت هذا التودُّد لاني لم اعتدهُ منهُ وقلت لهُ ان هانم افندي مضت لتنام . فقال سأَبعث وحيدة واما انتِ فانكِ محتاجة الى النوم ايضاً . وبعد قليل دخلت وحيدة واضطرتني ان اخرج وانام فخرجت ومضيت الى غرفتي عن طيب نفس لانني شعرت بالحاجة الشديدة الى الراحة وقلت في نفسي انهُ لا يمكنني ان ابقى على خدمتهِ ما لم استرح

وحاولت النهوض في الصباح فلم استطع لاني كنت مصابة بصداع شديد واخبرتني كنجه ان الطبيب حضر وقال ان نافذ بك نجا من الخطر وانهُ صار في حالة النقه فعزمت ان ابقى في سريري ذلك اليوم لاني رأَيت انهُ يسهل الاستغناء عني فبقيت النهار كلهُ وشعرت في المساء بشيءٍ من الراحة فنهضت ومضيت الى غرفة نافذ بك فرأَيتهُ نائماً وجلست بجانب هانم افندي ولم اكد اجلس حتى ضمتني الى صدرها وقبلتني فاستغربت ذلك منها وقلت في نفسي ماذا جرى حتى عطفت عليَّ الآن . وبعد دقائق قليلة فتح نافذ بك عينيهِ ونظر الى امهِ ولما رآني الى جانبها ادار وجههُ ودخلت ولية هانم حينئذٍ ووقفت فوق رأْسهِ وقالت لهُ اراك احسن كثيراً فقال نعم ولكني ضعيف جداً اين اغا بك ولم يكد يتم كلامهُ حتى دخل ادهم بك ودنا منهُ وقبل ان يكلمهُ التفت اليَّ وقال اظنكِ كنتِ مريضة من كثرة التعب والتفت نافذ بك اليَّ ايضاً وقال لماذا تتعبونها . فقالت لهُ ولية هانم كانت تمرّضك كل هذه المدة ولولاها ما كنت ادري ماذا كانت امك تفعل . فقالت هانم افندي نعم وليس بيننا من هي امهر منها في التمريض ومع اهتمامها الشديد بك لم يضعْ رشدها مثلنا . فلم يقل شيئاً بل التفت الى اخيهِ وطلب منهُ ان يقرأَ لهُ فامسك ادهم بك صحيفة وجعل يقرأُ فاغمض عينيهِ ثم فتحهما ونظر اليَّ كانهُ لم يكن يسمع شيئاً . وحينئذٍ دخل نصر الله باشا وعلي بك فقال نافذ بك لاخيهِ كفاكَ

يا اخي فاني اشعر بالنعاس وانتِ يا امي اذهبي ونامي ولا داعي لان يبقى عندي الاَّ جارية من الجواري . فقالت هانم افندي ان امينة تبقى هنا لانها استراحت النهار كلهُ . فقال بل هي محتاجة الى الراحة مثلي . فنظر اليَّ نصر الله باشا بعين ملؤُها الشفقة وقال لي لقد صدق نافذ نادوا بوار لتبقى هنا فاني لا ارى لماذا لا تخدم سيدها . فقال نافذ بك نعم وانا لا ارى لماذا لم تخدمني من اول الامر وليس من العدل ان نتعب امينة وكيف نخلص من عتب حميدة اذا رأتها هنا

ولما قال ذلك زال اصفرار وجهي وشعرت كأن الدم كاد يطفر منهُ ونظر ادهم بك اليَّ واحدقت الابصار كلها بي ونظرت هانم افندي الى ابنها نظر التوبيخ . فقال ما عدتُ اقول شيئًا ولكني لا اريد ان تقتل نفسها لاجلي اذهبي يا امينة الى سريركِ والاَّ مرضتِ واُضطر حينئذٍ ان امرّضكِ كما مرضتِني وفاءً لمعروفكِ وانا لا استطيع ذلك مثلكِ

فخرجتُ من غرفتهِ ومضيت الى غرفتي ورميت نفسي على الديوان وقلت لقد استجاب الله دعائي فقد طلبتُ منهُ ان يحوّل قلبهُ عني فحوّلهُ فلماذا استاءُ من ذلك . ولكن عواطفي غلبت عقلي فاستولى اليأس عليَّ

ومضت بضعة ايام بعد ذلك لم ارهُ فيها وحدي لانهُ كان قد نقه وصارت العائلة تجتمع في غرفتهِ غالبًا وكان يجتنب الكلام معي ولحظت ذلك ولية هانم فقالت لهُ ذات يوم " اهكذا تظهر شكرك لامينة فانكَ من حين شفيت لم تكلمها عشر كلمات كانك مغتاظ منها لانها مرَّضتك ". ولحسن الحظ لم يكن احد في غرفتهِ غيرنا لان هانم افندي ووحيدة هانم كانتا قد مضتا الى غرفة الاستقبال لمقابلة بعض الزوار وكان نافذ بك يقرأُ في كتاب لما قالت ولية هانم هذا القول فرفع عينيهِ وقال لقد اخطأتِ فاني غير مغتاظ منها ولا منكر فضلها عليَّ

فقالت اذًا لماذا لا تكلمها ولماذا لا تتكلمان كلاكما على جاري عادتكما كانكما صرتما غريبين فقل لي ماذا جرى بينكما هل تخاصمتما

وكان متكئًا على معقد امام الشباك ويداهُ تحت رأسهِ فقال لها اليكِ عن الهزل فان امينة ليست خادمة عندنا ولا لنا سلطة عليها بل هي غريبة هنا فبأي حق اخاصمها

فقالت لهُ ألا تخجل من نفسك كيف تقول انها غريبة وما معنى هذا القول . فقال لماذا اخجل ولم ارد ان اقول سوى انهُ ليس لي علاقة بها تجيز الخصام او غير الخصام

فقالت نعم يجب ان تخجل من هذا الكلام الجارح . اليكِ عنهُ يا امينة يا حبيبتي ولا تعبئِي بكلامهِ واظن انهُ جن حتى يتكلم بمثل هذا الكلام بعد كل ما بذلتهِ من العناية بهِ

فلم اعد استطيع الصبر وقمتُ لاخرج وسمعتهُ وانا خارجة يقول ان كانت قد اعتنت بي

بهذا المقدار فليس ذلك مما تمدحون عليهِ لاني كنتُ اظن اني اعزّ عليكم من ان تتركوني حتى لا يبقى من يعتني بي غيرها ولماذا لم تستأجروا لي ممرّضة تمرّضني فانها كانت تمرضني مثلها

فخرجت وغلقت الباب ورائي واسرعت الى الحديقة وانا اكاد اتميز غيظاً . نعم اني كنت نزيلة عليهم ومحتاجة اليهم ولكنهُ هو آخر من ظننت انهُ يمكن ان يذكرني بذلك . فضاقت الدنيا في عينيّ وغلبتني العبرات فجعلت ابكي من كبد مقروحة واذا انا بادهم بك وعلي بك قد دخلا الحديقة واقتربا مني فقال لي ادهم بك ما جرى لكِ ما سبب هذا البكاء يا بنتي . فقلت لا شيء ونهضت وحاولت مسح دموعي . فقال هل قالت امي لكِ شيئاً فقلت كلاّ فقال اذا وحيدة فقلت كلاّ فقال بهية فقلت كلاّ فصمت قليلاً ثم قال اذاً نافذ

وكان في صوتهِ شيء افاض الدموع من عينيّ غصباً عني ولكني غطيت وجهي بيديّ فوضع يدهُ على كتفي وقال يا مسكينة اخاف ان يكون نافذ اغاظك بالكلام لاني رأيتُ انهُ تغيّر عليكِ من يوم مضيتِ الى بيت حميدة فهل يمكنكِ ان تخبريني السبب

فقلت اني لا اعرف سبباً . ولما رأيت انهُ رثى لحالي تشجعت وقلت لهُ ألا يُسْمَح لي ان امضي الى بيت حميدة واقيم عندها بضعة ايام

فنظر اليّ مستغرباً ثم قال اخاف ان يكون ذلك غير ممكن لاسباب ولكن لماذا تريدين ان تتركينا يا امينة هل رأيتِ منا شيئاً يغظيكِ . فقلت كلاّ يا مولاي . فقال اذاً تريدين ان تبعدي عن نافذ فاخبريني هل التقيتِ بهِ ذلك اليوم . فقلت "نعم". وكنت اتمنى ان تنزل عليّ صاعقة او تثور زلزلة او زوبعة او يحدث حادث ما يمنعهُ من السؤال ويمنعني من الجواب

فقال هل قلتِ لهُ شيئاً اغاظهُ . فقلت كلاّ . فقال لماذا اغتاظ منكِ اذاً . فلم اجبهُ . فقال لي اسمعي يا امينة انا مثل ابيكِ فلا تخفي عني شيئاً لعلي استطيع ان اساعدكِ . فهل اوضح لك ما قالهُ ابي لهُ وهو ان يقاوم التجربة من غير ان يهرب منها . فصعد الدم الى وجهي حينئذٍ لاني رأيتهُ اقترب من الموضوع الذي كنت اريد ان يبعد عنهُ وقلتُ لهُ كلاّ يا مولاي. فقال ولكن انتِ فهمتِ ذلك فهل هذا سبب نفورهِ . فقلت كلاّ — نعم — لا اعلم حقيقةً ولكنهُ اغتاظ لاني ذهبت الى ايوب سلطان

فقال مع من ذهبتِ الى هناك ولماذا

فقلت ذهبنا نتنزه هناك انا وبوار وحميدة وتبعنا داود بن حميدة كحارس لنا . فقال لا حرج عليكِ في ذلك ان كانت امي قد سمحت لكِ وقد احسن داود بذهابهِ معكما فهل ذلك غاظ نافذاً . فقلت انهُ اغتاظ لانهُ رآني اتكلم مع داود . ولما قلت ذلك شعرت كأنني اخطأت

بهذا الاقرار وانتظرت ان يعود عليَّ باللوم كما عاد اخوهُ لكنهُ لم يفعل ذلك بل نظر اليَّ طويلاً ثم قال لقد احسنتِ ولا ارى ضرراً من كلامكِ مع داود. وهذا احسن شيءٍ لكِ انا ذاهب الآن لاقنع نافذاً بان لا حقَّ لهُ ليستاء منكِ

واردت ان اوقفهُ عن الذهاب ولكنهُ ذهب قبلما افقت من الدهشة التي اعترتني حالما سمعت كلامهُ . وقد قام في نفسي انهُ سيقع الخلاف بين الاخوين بسببي مرةً اخرى وبينما انا واقفة افكر في ذلك سمعت واحداً يضحك فالتفت واذا علي بك ورائي يضحك عليَّ وقد نسيت انهُ هناك فقال تعالي يا امينة لا تخافي ما عاد خصامهما ممكناً لان نافذاً على ما تعلمين من الضعف الآن . فنظرت اليهِ مدهوشة ثم قال لي لا امهر من ادهم بك في اكتشاف الاسرار ولكنهُ لا يلبث ان يكتشفها حتى يسيءَ فهمها ويستنتج منها نتائج غير صحيحة

فلم اجبهُ لان قلبي لم يكن فاضياً لهذا الكلام وسرت نحو البيت ودخلت الرواق وجلستُ فيهِ افكر في امري وفي طريقة انجو بها من هذه المشاكل فلم ارَ غير الاقتران بداود وهذا كنت انفر منهُ بكليتي . ومرَّت ساعة من الزمان وانا غائصة في بحار الافكار ثم جاء بعض الزوار فسرت بهم الى غرفة الاستقبال ودخلت غرفة نافذ بك لانادي هانم افندي فرأيتهُ نائماً على المعقد وامهُ جالسة بجانبهِ فلما اخبرتها بمجيء الزوار قامت واشارت اليَّ ان اجلس مكانها فجلست وانا اتمنى ان يأتي احد غيري قبلما يستيقظ لكي لا يراني بجانبهِ لاني كنت مغتاظة جداً من الكلام القارص الذي اسمعني اياهُ في الصباح . ولم يسعني الاَّ ان انظر الى وجههِ وهو نائم وكان اصفر نحيفاً غائر العينين واحدى يديهِ على رأسهِ والاخرى ملقاة بجانبهِ على المعقد ووراءهُ ستارة من المخمل الازرق يظهر وجههُ عليها كأنهُ وجه ميت لا وجه حي . فلما تأملتهُ اغرورقت عيناي بالدموع ووددت ان امسك يديهِ بيدي واغسلهما بدموعي وقلت في نفسي يا الهي كم احبهُ وكم تألم بسببي . وفتح عينيهِ حينئذٍ ونظر اليَّ فنهضتُ مضطربة وقلت لهُ ان امك امرتني ان ابقى هنا فان اردتَ ادعو لك شخصاً آخر . فلم يجبني ولم يرفع نظرهُ عني ثم تبسَّم وقال عبثاً عبثاً. اذا كان بقاؤُكِ هنا لا يزعجكِ فلا تدعي احداً ولكني ارجو منكِ ان تزيحي هذه الستارة لاني اكره الظلمة . وكانت الستارة وراءهُ ولا بدَّ لي من ان انحني فوقهُ حينما ازيحها فانحنيت فنظر اليَّ ملياً وقال لي ارى انك كنت تبكين وقد قال لي ادهم بك انهُ رآكِ في الحديقة فاخبرتهِ ان كلامي ساءكِ جداً فسامحيني عن كل ما صدر مني

وخرج هذا الكلام منهُ تكلفاً كانهُ امرٌ واجب عليهِ قضاؤُهُ. وازحتُ الستارة ووقفتُ امامهُ وقد علتني حمرة الخجل وقلت لهُ لا ذنب اسامحك عليهِ . وقبل ان اتم كلامي قال لي لا تخافي ان

اتعبكِ ايضاً وارى الآن انهُ لم يكن يحق لي ان استاء مما ظننتُ انهُ يحق لي ان استاء منهُ فارجو ان تنسي ما مضى وتسامحيني اذا استطعتِ فنعود الى صداقتنا القديمة . ولما قال ذلك اعطاني يدهُ لاصافحهُ فظننت انهُ اعطاني اياها لالثِمها على جاري العادة ولما هممتُ بذلك اخذها مني وقال اني اكره هذه العادة ولا افهم كيف تلثم المرأة يد الرجل ولكن خذي هذه المروحة وروّحي لي لان الحرّ شديد ازهق روحي

فجلست اروّح لهُ وانا افتكر في كيف استطاع ادهم بك ان ينقل اليهِ كل هذه الاخبار وكنت انظر من الشباك الذي وراءهُ الى البيوت التي على الضفّة الاخرى اما هو فبقيت عيناهُ شاخصتين اليّ . ثم قال تُرَى هل يريد هؤُلاء الزوار ان يتعشوا هنا . فقلت في نفسي اذاً استثقل قيامي معهُ وقلت لهُ هل تريد ان ادعو ولية هانم فقال كلاَّ وقد اقامت معي الصباح كلهُ ولا يجوز ان نتعبها ايضاً . ولكن اين علي بك فقلت رأيت قائقهُ ذاهباً الآن بهِ ولكن ادهم بك هنا فهل ادعوهُ . فقال كلاَّ كلاَّ فقد سمعتُ منهُ ما يكفيني شهراً الاَّ اذا كنتِ قد شكوتِ اليهِ شكوى جديدة لم يبلغنيها حتى الآن

فنظرتُ اليهِ نظر الانفة والترفُّع فضحك وقال لا بدَّ من ان اطلب السماح منكِ مرةً اخرى . لماذا لا اقدر ان اقول كلمة من غير ان اغيظكِ . هاتي ناوليني هذا الكتاب حتى اقرأ فتستريحي مني . فاعطيتهُ الكتاب وكان شغل ولية هانم هناك فاخذتهُ وجعلت اطرز فيهِ ولم تمضِ دقيقة حتى طرح الكتاب من يدهِ وقال لا استطيع ان اقرأ لان رأسي يكاد ينصدع . مَن عندنا الآن فقلتُ زوجة يوسف باشا . فقال اما حان لها ان تنتهي زيارتها فقلت اتى زوّار غيرها فقد رأيت الآن قائقاً آخر . فقال ما شاء الله الزوار بالافواج . فقلت انهنَّ اتينَ لعيادتك والسؤَال عنك فقال شكراً لافضالهنَّ ولا سيما لانهنَّ لم يرينني في عمرهنَّ . فقلت بلى رأينك مراراً من الشبابيك ولو لم ترهنَّ . فقال هذه الرؤْية لا تكفي لمجيئهنَّ في هذا الحر

ولم يكن في حديثنا طلى فصمتُ وصمت برهةً ثم تناول ساعتهُ وفتحها وقال متأففاً لم نزل في الساعة الرابعة وكنت اظنها الساعة السادسة تُرَى كم يوم يجب ان ابقى مطروحاً هنا مثل الكلب هل خرج الباشا . فقلت لا اظن فهل تريد ان اناديهُ لك . فقال اتظنين انهُ يليق ان اناديهُ ليأتي ويسليني . فقلت ولكن ألا تستطيع ان تسأَلهُ عن امر من الامور حجّةً . فقال ماذا اسأَلهُ ونظر اليَّ باسماً فلم استطع الاَّ ان اضحك وضحك هو ايضاً وقال اني استغرب كيف يودُّ كلٌّ منا ان يتخلص من الآخر لماذا ذلك يا امينة اجلسي واسمعي ما اقولهُ لك . فجلستُ

وانا اود ان تدخل هانم افندي لاخلص من حرج هذا الموقف ولما خطر ببالي ذلك صعد الدم الى رأسي . فقال ماذا جرى لكِ الآن وبماذا انتِ تفكرين لا تخافي فاني صرت احاذر ان اقول لك كلمة مخافة ما القاهُ من التعنيف من ادهم بك . والظاهر انكِ جعلتهِ موضع سركِ اتوسل اليكِ ان لا تغتاظي مني الآن فتشكي امركِ اليهِ لاني احب ان اخسر كل خسارة ولا اسمع تعنيفهُ مرة اخرى

فقلت لهُ كيف تعاملني هذه المعاملة وكيف تستحلُّ ذلك أتصدِّق ان ادهم بك قال لكَ كلمةً بطلبي او برضاي

فقال لماذا شكوت اليهِ امركِ اذًا وقلتِ انكِ ترغبين في الخروج من بيتنا لكي تخلصي مني لاني صرت اضطهدكِ واسيء معاملتكِ من حين رأيتكِ مع داود في ايوب سلطان غيرةً منهُ

فبهتُّ من كلامهِ وكدتُ لا استطيع جوابًا لاستغرابي كيف حرَّف كلامي واخيرًا قلتُ لهُ هل اخبرك ادهم بك اني انا قلت لهُ ذلك

فقال اتنكرين هذا القول وربما تنكرين ايضًا انكِ قلتِ لهُ انكِ تحبين داود كفى كفى يا امينة ما عدتُ الجئكِ ان تشكي اليهِ شيئًا وارجو اني ان اسأت اليكِ بعد الآن لا تشكيني الى ادهم بك بل الى الشخص الوحيد الذي اعترف لهُ بالسلطة عليَّ في هذا البيت . نعم ان نصائح الاخ لاخيهِ حسنة مقبولة ولكنها قد تفرغ في قالب تنفر منهُ النفس . واريد ان ينبهني الى نقائصي رجل خالي الغرض لا ناقة لهُ في المسألة ولا جمل حتى لا يكون حكمهُ عليَّ مشوبًا باغراضهِ الذاتية . فلو لامني ابي وقال لي اني تصرفتُ معكِ تصرفًا مخلًّا بالادب لقبلت لومهُ وحسبت انهُ ابدى لي ما يعتقدهُ تمامًا سواءٌ كان مخطئًا فيهِ او مصيبًا لاني اعلم انهُ خالي الغرض واما ادهم بك فلا

ولما سمعت منهُ هذا الكلام اسودَّت الدنيا في عينيَّ وقلت لهُ والغيظ ملءُ فؤادي أتظن ان ادهم بك لا يرى ما يراهُ كل احد أَوَبي حاجة ان اشرح لهُ هذه الامور

فزاد غيظهُ وقال أَإلى هذا الحد . لم يخطر ببالي قط اني كنتُ مكروهًا في عينيكِ قبل الشهر الاخير واظن ان غيري ايضًا كان مغشوشًا مثلي

وهنا طفح الكيل ولم اعد استطيع الكلام فغطيت وجهي بيديَّ وخنقتني العبرات فصرت ابكي كالطفل لان كل كلمة من كلامهِ جرحت قلبي كسهم مسنون . وحاولت ان املك نفسي لئلاَّ يشمت بي فلم استطع واخيرًا شعرت بيد وُضعَت على يدي ورفعتها عن وجهي ففتحت عينيَّ ورأيتهُ واقفًا امامي وهو اصفر الوجه ويدهُ تكاد تحترق فقلت في نفسي لا بدَّ من ان يكون

كلام ادهم بك وكلامي قد اعادا اليهِ الحمى فصرختُ وانا اشهق ارجعْ الى مكانك بالله عليك ارجعْ الى مكانك والاَّ عاودتك الحمى وحسبتَ اني انا السبب ووقع اللوم كلهُ عليَّ. فتبسم وقال كلاَّ كلاَّ انا هو السبب وقد اخطأت اليكِ فسامحيني ولا تبكي

وحاولتُ ان اعيدهُ الى مكانهِ ونهضتَ لاخرج من غرفتهِ فقال اطيعك بشرط ان تبقي هنا وعاد الى المقعد وبقيتْ يدهُ ممسكة بيدي وجلس واجلسني بجانبهِ وجعل يرفع شعري عن وجهي بيدهِ الأُخرى وكانت يداهُ ترتجفان . فقلت لهُ ستعاودك الحمى حتماً واكون انا المسببة لك في ذلك

فقال كلاَّ لا تخافي لا يمكن ان تعاودني الحمى لانيِ عازم ان لا امرض ايضاً ولكنني لم اظن اني ضعيف بهذا المقدار والظاهر ان الوقوف اتعبني . والآن قولي لي الحق هل قلتِ لادهم بكِ انكِ تحبين داود

فاجبتهُ "كلاَّ لم اقل لهُ ذلك فهل قال لك اني قلتهُ لهُ". وقد صرَّحت لهُ بذلك لان خوفي من انتكاسهِ الجأني الى التصريح بهِ مع علمي بما سيترتَّب عليهِ. فقال لم يقل لي ذلك صريحًا ولكن هذا كان معنى كلامهِ فاخبريني الآن أصحيح ما فهمتهُ منهُ

فلم اجبهُ واراد ان يعيد سؤالهُ ثم توقَّف وترك يدي من يدهِ وقال لي اجلسي امامي فقمت وجلست على الكرسي امامهُ ولم اكد اجلس حتى فُتح الباب ودخلت هانم افندي وتبعها زوجها والتفت الى نافذ بك ولما وقعت عينهُ عليهِ عبس وقال لهُ ماذا فعلت بنفسك. ونهض نافذ وقبَّل يد ابيهِ فقال لهُ ابوهُ ها قد عاودتك الحمى

واضطرب فؤَادي لما قال نصر الله باشا ذلك فضحك نافذ بك وقال كل الحق على امي لانها تركتني ساعتين ولم تترك عندي الاَّ امينة وهي لا تستطيع ان تزجرني . فنظرت امهُ اليَّ وقالت لي كيف تغاضيت عنهُ يا امينة . فاجابها نصرالله باشا قائلاً ان نافذًا ليس طفلاً ولاهو جاهل مصلحة نفسهِ فاذا اراد ان يجنَّ فهذه البنت لا تستطيع منعهُ قومي يا امينة وامضي الى غرفتك لاني ارى علامات التعب على وجهكِ ولا بدَّ لكِ من الراحة وانت يا نافذ نم في مكانك وسارسل الآن واستدعي الطبيب . قال ذلك وخرج من الغرفة فخرجتُ وراءهُ وقد غلبني الخجل والاضطراب . ووقف في الممشي والتفت اليَّ كأنهُ يريد ان يكلمني فخفق فؤَادي لاني كنت اعلم انهُ عارف بقصتي من اولها الى آخرها لكنهُ لم يفعل بل سار في طريقهِ وصعدتُ الى غرفتي وانا اسأل نفسي ماذا افعل لاخلص من هذه المشاكل والمتاعب

التبزير ودود الحرير

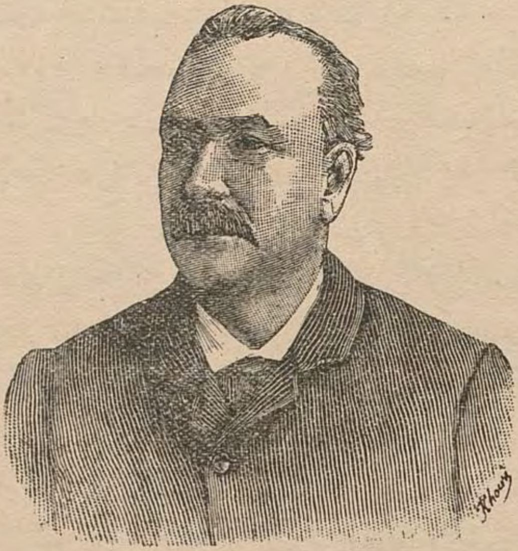

المسيو برته Berthet

لتربية دود الحرير شأن كبير في البلدان الشرقية ولا سيما الاقطار السورية ومن المحتمل ان يصير لها شأن كبير في القطر المصري ايضاً بعد زمن غير بعيد لان الذين شرعوا في زرع التوت وتربية الدود في هذا القطر تكلَّلت اعمالهم بالنجاح وسيتَّسع نطاقها رويدًا رويدًا . واهم ما يُنظر اليهِ في تربية دود الحرير بعد الضربات التي توالت عليهِ ان يكون بزرهُ سليمًا من كل مرض ويكون من اصل جيد حتى ينتج منهُ من الحرير ما منهُ ربح كافٍ من حيث كميتهُ ونوعهُ. ولذلك لم يعد مربو الدود يستخرجون البزر من دودهم بل صاروا يبتاعونهُ من اناس يهتمون بانتقاء الشرانق خالية من الامراض واستخراج البزر من فراشها ومن ثمَّ يذهب بعض السوريين الى فرنسا كل سنة لهذه الغاية او يختارون الشرانق ويفحصونها فحصاً ميكروسكوبيًّا دقيقًا قبل استخراج البزر من فراشها

وقد رأينا في جرنال التجارة الفرنسوي مقالة عن المسيو برته Berthet صاحب معامل استخراج البزر فلخصنا منها ما يلي لما فيهِ من الفائدة

” لايجود دود الحرير ما لم يكن البزر الذي يتولَّد منهُ مستخرجًا من دود خالٍ من الامراض الفطرية أُحسنت تربيتهُ وانتُقي من نوع جيد من انواع الدود

ولا شبهة في ان اكتشاف باستور لامراض الدود والفحص عنها بالميكرسكوب نافع جدًّا ولكن خلو البزر من الامراض التي تعلم بالفحص الميكروسكوبي لا يكفي وحدهُ ولا بدَّ من ان يكون البزر مستخرجًا من دود جيد أُحسنت تربيتهُ . وهذا الامر دعا المسيو برته لانشاء اماكن يربَّى فيها الدود ويستخرج البزر منهُ وقد شرع في ذلك منذ سنة ١٨٦٨ وانشأ شركة لهذا الغرض ولم يمضِ وقت طويل حتى اشتهر امر هذه الشركة ونجحت اعمالها وعظمت فائدتها

وقد اختار المسيو برته وشركاؤُهُ اماكن مختلفة على ساحل بحر الروم جامعة للشروط اللازمة لتربية الدود واصلاحهِ من حيث طلاقة الهواء واعتدال الحرارة والرطوبة وعدم تغيرهما السريع وجودة ورق التوت الذي ينمو فيها . ولكل شرط من هذه الشروط شأن كبير في جودة الدود والحرير . وعندهم نحو الفي نفس يشتغلون بتربية دود الحرير في هذه الاماكن التي خصَّتها الطبيعة بمزايا كثيرة وهم مختارون من اذكى الناس واشدهم اعتناء وكل واحد منهم يربي ثلاثين غرامًا من البزر فقط لكي يسهل عليهِ الاعتناء بها وتبلغ الشرانق التي تنتج من ذلك ثمانين الف كيلوغرام في السنة

ويؤتى بالشرانق الى معامل التبزير وتفحص اولاً فحصًا ابتدائيًّا بالنظر والجس حتى اذا وُجدت صالحة أُخذ منها مقدار معلوم وفحصت جيزانهُ فحصًا ميكروسكوبيًّا فاذا وجدت خالية من الامراض اختيرت بقية الشرانق للتبزير والغالب ان يطرح من الشرانق ثلثها او ربعها فيستعمل للحل وما بقي منها يستعمل للتبزير

وقد بلغ موسمهم سنة ١٨٩٩ ثمانين الف كيلوغرام من الشرانق فاختير منها ٥٥ الف كيلوغرام للتبزير فخرج من كل كيلوغرام ٣ اواقي من البزر وبلغ البزر المستخرج سنة ١٩٠٠ اكثر من ١٥٠ الف اوقية . وجملة ما يستخرج في معامل التبزير في فرنسا كلها مليون اوقية فيكون المستخرج في معامل برته وحدها سبع ما يستخرج في فرنسا كلها

ولبيت برته ١٤ معملاً للتبزير في جهات مختلفة من فرنسا ولهُ ايضًا معمل للتبزير في لبنان ومعمل في جزيرة قبرص ومعمل في بورصه وقد انشأ الآن معملين جديدين في فرنسا ينتظر ان يبزر فيهما كل سنة ٥٠٠٠٠ اوقية فيصير ما يبزرهُ في السنة مئتي الف اوقية

وقد ذهب واحد من رؤَسائهِ الى تركستان وانشأ فيها معملاً للتبزير فيهِ الآن عشرة ميكروسكوبات يفحص بها الدود والبزر

والمعامل كلها قائمة في احسن الاماكن التي يمكن اختيارها للتبزير من حيث جودة الهواء واعتدال الحر والبرد والرطوبة وفيها نحو ثلاثة آلاف عامل ويزورهم المسيو برته وشركاؤُهُ من وقت

الى آخر يراقبون اعمالهم لكي لا يقع منهم اقل خلل او قصور عالمين ان نجاح هذا البيت يتوقف على حفظ مالهم من الاسم والشهرة

والبزر الذي يستخرج في معامل برته وشركائهِ هو من نوع مخصوص من الدود ثبت بالتجارب ان شرانقهُ اجود من شرانق غيرهِ واكثر منها حريرًا واغلى منها ثمنًا وقد نجحوا في حفظ هذا النوع من الدود سالمًا من الآفات ومن الامتزاج بغيرهِ من الانواع الدنيا واجادوهُ بالانتقاء المتوالي وحسن التربية . وقد شهد لهم الذين استعملوا بزرهم شهادات كثيرة

والبضائع الواردة الى سورية يؤْخذ عليها ٨ في المئة رسم الجمرك ولكن البزر الوارد من محل برته يؤْخذ على الاوقية منهُ اكثر ممَّا يؤْخذ على الاوقية من غيرهِ لان عمَّال الجمرك يثمنونهُ باغلى مما يثمنون بهِ غيرهُ وما ذلك الاَّ لانهم عرفوا بالاختبار ان الناس يغالون بهِ ويحسبونهُ اثمن من غيرهِ وكفى بذلك شهادة لهُ

ويرسل هذا البزر الآن الى كل الاماكن التي يربى فيها دود الحرير في تركيا وبلاد اليونان واسبانيا وايطاليا وبلغاريا والسرب والقوقاس وايران وتركستان وبخارا". انتهى بتصرُّف قليل

وقد عرض المسيو برته شرانقهُ في معرض باريس الاخير فنال جائزة الشرف الكبرى. هذا ما قرأْناهُ وما اتصل بنا من امر هذا الرجل وجودة بزرهِ وعسى الذين جربوا هذا البزر في سورية يكون اختبارهم مؤيدًا لما ذكر عنهُ

السفر الى القطب الجنوبي

الضاربون في الاقطار الشمالية لاكتشاف القطب الشمالي اكثر عددًا من الضاربين في الاقطار الجنوبية لاكتشاف القطب الجنوبي ولو لم يكونوا اشد منهم جراءةً . ويمتاز اولئك عن هؤُلاء بان القطب الشمالي قريب من المعمور فاكتشافهُ قد يكون من ورائهِ فائدة تجارية باكتشاف طريق قريب بين المشرق والمغرب اذا صحت الظنون وكان حولهُ بحر لا يجمد في كثير من شهور السنة عدا الفائدة الجغرافية والفائدة العلمية من الارصاد الكهربائية والمغنطيسية والجوية والجيولوجية . واما اكتشاف القطب الجنوبي ففائدتهُ علمية محضة لا فائدة تجارية من ورائهِ . هذا هو الامر الظاهر الذي يجاهر بهِ متجشمو المشاق في الذهاب الى القطبين والذين يساعدونهم بالاموال ولكن وراء هذا الامر الظاهر امرًا آخر اظهر منهُ ولو لم يجاهر بهِ احد وهو ان رؤَساء

هذه الرحلات مثل ننسن وبورشغرفنك وغيرهما يتوخون ايضاً الشهرة الادبية والربح المالي معاً لان اصحاب الصحف وناشري الكتب يوفونهم الدرهم ديناراً فلا يرجع سائح من سياحتهِ حتى تنشر اخبارهُ في الصحف ويطبع كتاب رحلتهِ مراراً كأَنهُ تاجر بضاعتهُ غرائب الاخبار عن غرائب البحار

وقد نشرنا في ما مضى تفصيل رحلتين الى القطب الشمالي وهما رحلة ننسن ورحلة دوق ابروزي وعثرنا الآن على تفصيل رحلتين الى القطب الجنوبي فآثرنا تلخيصهما لما فيهما من الغرائب المدهشة لكي لا ترجح كفة على كفة

الاولى رحلة ده جرلاك

الذين مضوا الى القطب الجنوبي من اهالي البلجيك كان غرضهم الاول المكتشفات الجغرافية وهذه هي اول مرةٍ مهِّد فيها السبيل لرجال العلم ان يبلغوا تلك الاقطار واول مرة وصل فيها اهل السياحة الى بحار الثلج الجنوبية منذ خمسين سنة الى الآن وشتُّوا فيها

ومدير هذه الرحلة ادريان ده جرلاك وقد قام بنفقاتها حكومة البلجيك واناس من اهاليها واكثر اعضائها من اهالي البلجيك ايضاً ومن النروجيين واخذوا معهم الدكتور كوك الاميركي كاتب السطور التالية جرَّاحاً وانثربولوجياً وفوتوغرافياً . وجورج لكوانت البلجي للارصاد الفلكية والمغنطيسية واميل ركوفتزا الروماني وهو عالم بعلم الحيوان والنبات وهنري اركتوسكي الروسي وهو عالم بالجيولوجيا والمتيورولوجيا ورسم البحر. فالرحلة علمية جغرافية والسفينة التي ساروا فيها نروجية محمولها مئتان وخمسون طنًّا فاصلحوها وسموها بلجيكا . قال الدكتور كوك واصفاً سفرهُ فيها وما لقيهُ هو ورفاقهُ من المشاق : لقيت السفينة في ريو جنايرو (ببلاد برازيل) فنزلت فيها واشتدَّ علينا الدوار مدَّة سيرنا في الاقاليم الحارَّة الى ان بلغنا الاقاليم الباردة في بتاغونيا (عند الطرف الجنوبي من اميركا الجنوبية) واخذنا ما يلزم لنا من الفحم والزاد من هناك وسرنا شرقاً في خليج يغل عازمين ان نسير بعد ذلك جنوباً الى ان نبلغ ابعد ما يمكن الوصول اليهِ وكانت جزائر ملبيجي تحيط بنا على الجانبين وقد غطتها الحراج الغبياء ودنا نصف الليل وكان الشفق لا يزال مشرقاً يتدفق نورهُ على صفائح الجمد المنتشرة امامنا وينير قنن الجزائر بنور لؤلئي بهي فيعكس شكلها من مرآة الماء حتى يخال الرائي ان الجبال ممتدة من عنان السماء الى جوف الارض. ومخرت بنا السفينة امام الخلجان فكنا نراها تتعاقب تباعاً ونحن نمعن النظر فيها عسى ان نرى اثراً لبني آدم حتى اذا بلغنا هضاباً متصلة قيل لنا ان فيها شيئاً قائماً لا يبعد ان يكون بيتاً فاتجهت النظارات اليهِ وبينما نحن نرقبهُ شعرنا كأَن

السفينة وقفت عن السير بغتةً فاستغربنا ذلك ولم نعلم سببهُ واندفعت الآلة البخارية على اشد قوتها فلم تستطع ان تدفع السفينة من مكانها قيد باع وسبرنا غور البحر فوجدنا اننا ارتطمنا بدَبْر(١) في البحر ولكنَّ السفينة علت فوقهُ رويداً رويداً حتى لم نشعر الاَّ وهي واقفة عليهِ لا تتحرك. وانتظرنا حينئذٍ ان يعلو ماء البحر بالمد فيرفع السفينة لكنهُ هبط بالجزر وتركها واقفة تترنح كالسكرى ثم مالت على احد جانبيها حتى كادت تنقلب فجعلنا نسندها بروافد الخشب فتنقصف كالقش . وتبينَّا المرتفع الذي رأيناهُ على الشاطئ بيتاً ولم يكن الاَّ ساعة زمانية حتى اقبل علينا جماعة من سكانهِ وهم هنود نزل بهم هناك رجل اسمهُ بردجس لرعاية الغنم ثم جاء هذا الرجل ومعهُ رجالهُ كلهم وتعاونوا هم والبحارة على تخفيف السفينة بانزال الشحن منها ولم يكادوا يفرغون قاربين او ثلاثة حتى عصفت الرياح وتعالت الامواج وفصلت بيننا وبين السفينة وجعلت وصولنا اليها ضرباً من المحال وزاد نودانها واضطرابها حتى قطعنا الرجاء من نجاتها وبينما نحن ننظر اليها آسفين هجمت عليها موجة كبيرة فرفعتها من مقرها ودفعتها الى العمق فبلغتهُ سليمة وانحلَّ قيدها وسارت بها العاصفة بمن فيها حتى اختفت عن الانظار وراء رأس في الجزيرة لكن البحر سكن بعد قليل وعادت الينا في اليوم التالي ولم يعد بها ضرر يذكر

وقمنا من هناك وسرنا شرقاً الى جزيرة ستاتن فاخذنا منها كفافنا من الماء القراح وودعنا آثار الانسان وسلمنا انفسنا الى مجاهل البحار وكان ذلك في الثالث عشر من يناير سنة ١٨٩٨ وبقينا سنة وشهرين ونصف شهر في عالم جديد منقطع عن عالم الاحياء تمام الانقطاع فثارت الحرب الاسبانية ووضعت اوزارها وتجسمت مسألة دريفوس وانحلَّت عراها ونحن لا نعلم شيئاً من امرها كأننا في دنيا اخرى

عمق البحر — وكان من اول اغراضنا سبر اغوار البحر من طرف اميركا الجنوبية الى ابعد ما يمكننا الوصول اليهِ لأنَّ تلك الاغوار لم تسبر قبل ذلك ورأينا في اول الامر ان سبرها ضرب من المحال اذ لا بدَّ من البقاء في كل بقعة نرمي فيها المرجاس ثلاث ساعات او اربعاً لكن اتفق لنا ان كان البحر رهواً فتمكنا من سبر اغوار كثيرة استدللنا منها ان جنوبي اميركا الجنوبية منفصل تمام الانفصال عن الانحاء القطبية لان البحر بينهما عميق جداً ويزيد عمقهُ بغتةً حتى يبلغ ثلاثة عشر الف قدم

جبال الجليد — والتقينا باول جبل من جبال الجليد التي تسير في عرض البحر كالسفن السيَّارة في التاسع عشر من يناير وصعدنا كلنا الى ظهر السفينة نرقبهُ ونود ان يبقى بعيداً عنا

---

(١) قطعة تغلظ في البحر كالجزيرة يعلوها الماء وينضب عنها

وبعيدين عنهُ . وكان الجو قاتماً مغبرًّا لكن هامة جبل الجليد كانت مكلَّلة بغمامة بيضاء تعلو وتسفل فوقهُ فتكشفهُ تارةً وتحجبهُ أُخرى . وظلت السفينة تبتعد عنهُ الى ان غاب عن الابصار . واطبق علينا ليل بهيم مدلهم لا نجم فيهِ ولا قمر واسودَّ ماء البحر حتى كأَنهُ النقس فسهرنا الليل كلهُ لئلاَّ يبيتنا جبل آخر من جبال الجليد فيطبق علينا على غرَّة. واشتدَّ البرد تلك الليلة حتى ايقنا انَّا مصيبون الجمد قريباً لكن لم يكن الامر كذلك . وكانت طيور البحر كثيرة تتبع السفينة وتملأُ الفضاء بصراخها والحيتان الضخمة تسير طولاً وعرضاً وتدفع الماء من خياشيمها فيعلو في الجوّ كالصواريخ وطلع النهار ولم تطلع الشمس وبقي الجو قاتماً مكفهرًّا الى الظهيرة وحينئذٍ اذابت اشعة الشمس سحابة الجمد التي كانت تخيم علينا و بزغت من خلالها فاشرق وجه البحر ودلتنا الدلائل على اننا مصيبون برًّا بعد زمن غير طويل فامسك كلٌّ منا نظارتهُ بيدهِ يرقب الافق الى ان كانت الساعة الثالثة بعد الظهر فاذا نحن بمرتفعات بعيدة عنا جدًّا كانها قطع السحاب فوق الافق فلما قربنا منها وجدنا انها الطرف الجنوبي من جزائر شتلند وعرفنا منها جزيرة لفنستون وجزيرة سمث وحاولنا الدنو منها لعلنا نراها جيدًا قبلما يحلك الظلام لكن تعذَّر علينا ذلك لانهُ لم تكد الشمس تغيب حتى عصفت الريح من الشمال الشرقي ومعها ضباب كثيف حالك اسودَّ بهِ الجو

جزائر شتلند — والجزائر الكبيرة هنا تحيط بها جزائر صغيرة يختلف اليها الفظ والبنغوين والغَل وغيرهما من طيور البحر . وفي الجزائر الكبيرة ولا سيما جزيرة لفنستون آكام مستديرة الرؤُوس يغطيها الثلج جوانبها جرداء وبينها اودية فيها انهار الجليد تمتدُّ منها في البحر ثم تتمزَّق فتتكوَّن منها جبال الجليد . وكان الساحل خالياً من الثلج حينئذٍ ولم نرَ عليهِ شيئاً من النبات ولكننا علمنا بعدئذٍ ان فيهِ كثيرًا من الطحالب والاشنان

وهذه الجزائر كثيرة تبلغ مئة عدًّا وطول ساحلها نحو الف ميل وكلهُ مما يمكن بلوغ السفن اليهِ وفيهِ كثير من المرافئ الامينة ومع ذلك لم تمتلكهُ دولة من الدول ولا اهتمَّ احد بارسال السكان اليهِ. وحبذا لو امتلكت بلادنا (اميركا) هذه الجزائر واقامت فيها منارةً ووضعت فيها شيئاً من المؤُونة للبحارة الذين تنكسر بهم السفن في هذه الجهات كل سنة وهم يقصدون الصيد فيها

وامسى المساء في العشرين من يناير واشتدَّ القتام فزاد خوفنا من جبال الجليد لاننا دنونا من البر واصبح الصباح والضباب يملأُ الجو ومررنا بكثير من جبال الجليد الصغيرة و بينما نحن نحاول الابتعاد عنها اصطدمت السفينة بصخر تحت الماء اصطداماً عنيفاً جدًّا كاد يقطع اوصالها ثم ارتفع الضباب فرأَينا البحر حولنا مملوءًا بالصخور السوداء وصدمت السفينة صخرين آخرين

لكنها بقيت سائرة وخرجت من بين الصخور سالمة ثم رأينا جبال الجليد دنت من تلك الصخور واصطدمت بها فتكسرت وتبعثرت وخفنا ان يصيبنا ما اصابها

وفي ظهيرة الحادي والعشرين صحا الجوُّ وبان الافق فرأينا صخر الشراع واضحاً عن بعد وهو صخر كبير في عرض البحر يرى عن بعد كسفينة ناشرة شراعها طولهُ الف قدم وعرضهُ خمس مئة وارتفاعهُ اربع مئة وجوانبهُ قائمة كجدران البيت لا موقف فيها لطائر ولم نكد نجتازهُ حتى تغير الهواء واظلم الجوُّ واسودَّ الماء ووثبت طيور البنغوين من البحر واسرعت نحو البر منذرة بقرب النوء

وثار النوء في الثاني والعشرين من الشهر فجعلت الامواج تتقاذف السفينة كأنها كرة تتقاذفها الصوالج وتشمخ احياناً وتجري فوق ظهرها فتجرف ما عليهِ من الامتعة وعصفت الرياح فصرنا نسمع لها قصيفاً كقصيف المدافع . وعند العصر كنت انا ورجل آخر على برج السفينة نرقب شيئاً في الافق بالنظارة فسمعنا صرخة شديدة اقشعرَّ لها بدني فالتفتنا كلانا ولم نرَ ما يدلُّ على مصدر الصوت وظنَّ رفيقي انهُ وقع عطب في الآلة البخارية فاسرع اليها اما انا فاسرعت الى مؤخر السفينة ونظرت الى البحر فرأيت رجلاً يغالب الامواج وهو من بحارتنا واسمهُ ونكل وساعدتهُ التقادير حتى بلغ حبل المقياس المتدلي من السفينة فامسك بهِ وجعلت انا أَلفهُ والحبل يزلق من يدهِ الى ان بلغ العوَّامة فامسك بها بكلتا يديهِ مسكة الموت لكن حبلها لم يكن ليحتملهُ لو حاولنا انتشالهُ بهِ ولا كان في الامكان انزال قارب اليهِ لشدَّة العواصف واضطراب البحر ولأن الامواج كانت تلعب بالسفينة لعب الطفل بالكرة . وتبرع رجل آخر ان ينزل اليهِ ويربط حبلاً متيناً حول وسطهِ لننشلهُ بهِ وكان الرجال كلهم قد صعدوا الى ظهر السفينة فربطناهُ بحبل وانزلناهُ الى البحر وماؤُهُ يكاد يجمد لشدة بردهِ فاستقبلتهُ الامواج واطبقت عليهِ حتى حسبنا انهُ غرق لكنهُ عاد الى وجه الماء وبذل جهدهُ ليدنو من ونكل ويربطهُ بالحبل فلم يستطع والظاهر ان البرد غلب على ونكل فافلت حبل المقياس من يديهِ وغاص في الماء ولم نعد نرى لهُ اثراً مع اننا اوقفنا السفينة ساعة من الزمان

وتقشَّع الضباب قبل مغيب الشمس فرأينا امامنا حائطاً من الجليد ارتفاعهُ خمسون متراً يمتدُّ شرقاً وغرباً الى حد ما يصل البصر فابقينا السفينة على اربعة اميال منهُ وسرنا امامهُ شرقاً ولم نبعد كثيراً حتى رأينا تحت الجليد خطاً اتضح لنا اخيراً انهُ صخور ورأينا عند حده الشرقي كثيراً من الرؤُوس البركانية ولم يكن الا قليل حتى صمت آذاننا باصوات الملايين الكثيرة من طائر البنغوين . فاقمنا هناك تلك الليلة وقمنا في الصباح لنقطع البوغاز الفاصل بين جنوبي

جزائر شتلند والاراضي القطبية ولم ينقشع الضباب كما امَّلنا ورأينا كثيرًا من جبال الجليد الطافية في البحر وهي قائمة الجوانب مقطوعة الرأس ينعكس عنها نور ازرق واخضر لكن الضباب كان يحجب الوانها احيانًا كثيرةً . وكنا نسير بين عاملين الابتهاج بجمال لونها وعظيم حجمها والخوف من الاصطدام بها اذا اشتدَّ حلك الضباب

وفي الساعة الثالثة بعد الظهر رأينا ضبابًا ابيض في الافق الجنوبي وبعد قليل ظهر لنا حد اليابسة يمتد الى ابعد ما يصل اليهِ مدى البصر شرقًا وغربًا وكان الضباب يغطي اعاليها وفيهِ نور بديع تمتاز بهِ الاصقاع الجنوبية على غيرها . ولما زاد اقترابنا منها رأينا انها كثيرة المرتفعات والمنخفضات والرؤُوس والخلجان والجليد يغطيها كلها وكان خليج من خلجانها واسعًا جدًّا حتى ظنناه بوغازًا وحاولنا العبور منهُ جنوبًا وكان عن يميننا جبل يعلو عن سطح البحر نحو الفي قدم تحيط بهِ آكام كثيرة تمتد من اعلاه الى شاطىء البحر وحدها المتصل بالبحر جدار قائم من الجليد ارتفاعة نحو مئة وعشرين قدمًا والخليج الى الغرب منهُ ووراءهُ جبال أُخرى يغطيها الثلج الدائم والى الشرق جزائر صغيرة قاحلة اكثرها خالٍ من الثلج ووراء ذلك في الجهة الجنوبية الشرقية بر فسيح ابيض اللون فوجَّهنا السفينة اليهِ لنعلم حقيقتهُ ونحن نسير الهوينا مخافة ان نصطدم بصخر او دبْر كما اصطدمنا قبلاً . ولما صارت الساعة العاشرة ليلاً دنونا من البر فانزلنا قاربًا تهافتنا عليهِ وكلٌّ منا يود ان يكون الاول في النزول على البر القطبي . وكان منظر ما حولنا غريبًا لم نشهد مثلهُ في الاصقاع الشمالية كأَن الهواء والماء والسحب توشحت كلها بالمدهشات . وكانت الشمس طالعةً فوق الافق ولو كان الوقت نصف الليل لا يحجبها عنا الاَّ الجبل الذي تقدَّم ذكرهُ ومع ذلك كان الجو مظلمًا اما ماء البحر فكان فيهِ شيء من النور الاخضر حتى كنا نستطيع ان نقرأ بهِ الكتابة الكبيرة الحروف . ولما دنونا من البر وجدنا فيهِ من النور ما يكفي للتصوير الفوتوغرافي اما الجو فكان لا يزال اسود قاتمًا وكان وجه البحر صقيلاً كالمرآة والهواء ساكنًا لا حركة فيهِ وكأَن محركات الطبيعة تركت الجماد واقتصرت على الحيوان فكانت طيور البحر تملأ الفضاء باصواتها والحيتان والفظوظ تثير البحر بالماء المندفع من خياشيمها وتصمُّ الآذان بصراخ اطفالها

فنزلنا في جون صغير وكان اركتوسكي الجيولوجي اول من وطئ البحر منا ومطرقتهُ في يدهِ وجرابهُ على كتفهِ لكي يكسر الصخور ويجمع منها الامثلة الجيولوجية وتبعهُ راكوفتزا لجمع امثلة التاريخ الطبيعي من حيوان ونبات ونزلت انا وجرلاك بعدهما نزلنا على الصخور والجليد بين عصابة من طير البنغوين فلم ترحب بنا بل اجتمعت حولنا تدفعنا عن بلادها بمناقيرها . وكنا نودُّ ان نقيم على هذه الجزيرة مدةً لكن امواج البحر كانت عنيفة عند الشاطىء فخفنا ان تكسر قاربنا

ولذلك عدنا اليهِ وابعدنا عن البر قليلاً واكتفينا بما نراهُ منهُ بالنظارات وبقي اركتوسكي وركوفتزا فيهِ لجمع امثلة الحي والجماد وكنا نسمع صوت الاول وهو يكسر الصخور بمطرقتهِ واصوات البنغوين وهي تتألَّب حول الثاني تحاول ابعادهُ عنها . ثم عدنا الى البر لنأتي بهما فاجتمعت طيور البنغوين علينا واوسعتنا نقداً بمناقرها وحامت طيور الغَل والكروات فوق رؤُوسنا الاولى تضربنا بقوادمها والثانية تمدُّ اعناقها الينا تستطلع اسرارنا و بلغ الخبر نمور البحر فاجتمعت حولنا تغطُّ وتكشر انيابها وعيونها تجول في اوقابها كالمصابيح

وعدنا الى السفينة واطلقنالها البخار فسارت بنا جنوباً سيراً بطيئاً واتسع الخليج امامنا ونحن نسير فيهِ وفي الساعة الخامسة صباحاً علت الشمس فوق قنن الجبال ففاضت اشعتها على ما حولنا من البر والبحر سكبت عليهِ وعلينا جام الراحة والاطمئنان ورأينا انفسنا في متسع من البحر يبعد اثني عشر ميلاً عن اقرب الجزائر الينا ولم نعد نرى الطيور عليها لبعدها عنا فشعرنا بوحدة لم نشعر بمثلها قبلاً وكنا نرى الدلائل على وجود الخلجان جنوباً وغرباً لكننا لم نتبينها جيداً لان البر كان بعيداً عنا وظهر لنا كانهُ فضاءٌ من البلور لا حدَّ لهُ

ستأتي البقية

* * *

نزول الثلج وحياة الانسان

للشاعر الاميركي وليم برانيت (Bryant.)

١

وقفْ معي تجاهَ تلك البَحْرهْ   من طرفكَ الذاكي اعرني نَظْرهْ
والماءُ فيها راكدٌ بهيمُ   تلبَّدتْ من فوقها الغيومُ
بناتهُ واحدةً فواحدَهْ   والثلجُ من تلك الركامِ الجامدَهْ
لتختفي في البحْرة السَّوداء   واجفةً تهبِطُ نحو الماء

٢

من خلفِ ذاك البرقعِ الكثيفِ   تخرجُ بالمئات والالوفِ
والبعضُ ينقضُّ انقضاضَ البَرَدِ   وبعضها كحائرٍ لا يهتدي
في ظلمة الاعماقِ طرًّا تلتقي   والكلُّ مهما اختلفتْ في الطرُقِ
تنحلُّ في البُحَيرةِ السوداء   بالرغم عنها عند الالتقاء

٣

نجوم ثلجٍ أنتجتها السُّحُبُ كأنها لولا التواني شُهُبُ
او رُجُمٌ صُبَّتْ من المجرَّهْ على بني الدنيا تشدُّ الكرَّهْ
تلعبُ دورَ العمر في الهواء مسرعةً الى سكونِ الماء
والماءُ يخفيها على السواء بجوفهِ في البحرةِ السوداء

٤

مولودةٌ من كُوَمِ الرديدِ(١) هابطةٌ كالطائرِ المصيدِ
تنزلُ في مسلكها الخفَّاقِ مُشغَلةً بالضمِ والعناقِ
كأنها زوجانِ او خِدنانِ تقطعُ حبل العُمر بالتداني
وكلُّ معشوقٍ وذي وَلاء يضيع في البحيرة السوداء

٥

انظر اليها كيف زاد العَدَدُ حتى غدا كالعِهنِ منها الجَلَدُ
يزْحِم بعضاً بعضُها ويُقدِمُ وذاك مما خلفَهُ منهزمُ
عجبتُ من سباقها لتُدفنا كأنها تعشق سرعة الفنا
تنحطُّ من مراتب العلياء للموتِ في البحيرة السوداء

٦

الدمعُ من عينيكَ يجري وانا اقرأُ منهُ الآن معنًى مُحزِنًا
يُبكيكَ أن فارقكَ الخلاَّنُ بسرعةٍ كأنهم ما كانوا
كقِطَعِ الثلج التي نراها ثم كحسوِ الطير لا نلقاها
على التوالي وبلا ارتضاء تُزَجُّ في البحيرة السوداء

٧

ها قد تولَّى السُّحُبَ افتراقُ والماءُ يكسو وجههُ إشراقُ
ومن وراء الغيم شقَّ النورُ فانتشر الصفاءُ والحبورُ
وقطعُ الثلج التي كنا نرى تجري الى الضريح جريًا مُنكَرا
اضحت بما انشقَّ من الضياء كواكبًا في البحرة الزهراء

فارس الخوري

---

(١) السحاب اربق ماؤهُ

تاريخ آل معن

(تابع ما قبلهُ)

وعلم الامير فخر الدين ان الاسطول العثماني قادمٌ عليهِ بقيادة محمد باشا وان اميرهُ انفذ الى صيدا عشرة سفائن بامرة يحيي باشا ليرصد طريق البحر فلا يفرَّ الامير بحرًا فللحال نهض الى نهر صيدا واجتمع بيحيي باشا وشكا اليهِ من تحامل الحافظ عليهِ مع انهُ عرض عليهِ[1] واحدًا وخمسين الف ذهب سلفًا عن السنة التالية. ثم ان الامير قدَّم للباشا هديةً واستكتب اهل صيدا عريضةً وارسلها مع رجلين من اخصائهِ لمحمد باشا امير البحر فلما وصل الوفد الى الباشا سر بذلك وامَّن الامير والوفد وبعد ايامٍ اقلعت السفن العثمانية من ميناء صيدا وقدم مركبان فرنساويان ومركب هولاندي

وكان الامير في خلال ولايتهِ علي بيروت قد تعرَّف بالبنادقة الذين كانوا ينتابونها للتجارة في الاحايين وشرع يراسل حكومتهم عن يدهم وكانت هذه الحكومة من اعداء الدولة العلية الأ في تلك الاونة فانهُ كان بين الدولتين هدنة وتواد ومن الغريب ان يقع في ابانها مثل هذه المخابرات على ان فخر الدين بنى من الاماني صروحًا عالية حاسبًا ان المساعدات الاجنبية تنيلهُ رغائب نفسهِ ولذلك لما رأى الجيوش السلطانية زاحفةً عليهِ وانس من انصارهِ القعود عن نجدتهِ عزم على السفر الى اوروبا اما فرارًا من العسكر واما التماسًا للنجدة الموعودة وكان الحاج كيوان الماروني قد اشار عليهِ بالسفر فأبى ولكنهُ لما استأذنهُ بسفر نسائهِ وامتعتهِ واذن لهُ استاجر احد المركبين الفرنسيين الموجودين في صيداء وانزلهنَّ فيهِ ثم ارتضى الامير بالسفر بعد اذ استقدم اخاهُ الامير يونس الى الدامور وكذلك الاميرين منذرًا وناصر الدين التنوخيين ومشائخ البلاد وآل الخازن وغيرهم من الوجوه واستنهضهم لنصرتهِ فابوا جميعًا فرأى انهُ مخذولٌ ولا امل لهُ بنصرة حلفائهِ فعاد حينئذٍ الى صيداء وعهد بالامارة الى اخيهِ الامير يونس على ان يقيم في دير القمر فخرج اليها برجالهِ واخصاء اخيهِ وسكانهِ. ولكن قولناي ولامرتين يقولان انهُ استناب ابنهُ عليًا ولا نرى لذلك سندًا لان عليًا كان يومئذٍ في حوران. ولما تمّت اهبة الامير استأجر المركب الفرنسيّ الاخر والمركب الهولاندي كلاًّ منهما بخمسة آلاف ذهب ونزل باحدى نسائهِ وبمماليكهِ وغلمانهِ البالغين خمسين نفرًا ونزل الحاج كيوان في المركب الاخر فلما

---

[1] وفي رواية الخالدي الصفدي ان هذا القدر من المال كان للامير على خزينة الشام لانهُ كان قد دفعهُ سلفًا

علم الربان الهولاندي بان اجرة المركب الفرنسي كاجرة مركبهِ طلب مضاعفة الاجور فاداها الامير ثم طلب خمسة الاف اخرى كان الامير قد اخذها منهُ جريمةً فقبضها (٢) ولم يبقَ مع الامير حين سفرهِ الاَّ خمسة وعشرون الفاً ذهباً ثم اقلعت السفن من صيداء وقيل ان الامير سافر من بيروت

وبلغ الامير ايطاليا ونزل برَّها واختلف الرواة في اسم الموضع فمن قائل انهُ نزل في فلورنسا ومن مخبرٍ انهُ في توسكانا وروى غيرهما في ليكورن بحيث لو اطّلع غير الخبير على هذه الروايات في مصادرها لاحتار ولم يدرِ ايها يعتمد والحق ان فخر الدين كان علي صلةٍ مع آل مديسي Médici امراء فلورنسا وكان هؤُلاء قد اتسع في تلك الاونة نطاق امارتهم فعمَّ كل بلاد توسكانا وفازوا بصداقة البابا بيوس الخامس على تلقبهم بكران دوك توسكانا فاتخذ احدهم فردينندو الاول ليكورن مرفأً للسفن المتجرة مع الشرق فما عتَّمت المدينة ان كبرت وازدهرت. فالاقوال المتضاربة ظاهرًا صحيحةٌ والمرجح ان فخر الدين نزل البر في ليكورن ولكنهُ اقام في بيزا المنضمة الى تلك الامارة وذلك بامر الكران دوك والكران دوك هذا هو كوزمو الثاني (الذي حكم من سنة ١٦٠٩ الى سنة ١٦٢١) وقد رحّب بالامير وكذلك رحبت بهِ امهُ وأُخلي لهُ قصرٌ فسيح وأُجريت لهُ الرواتب البالغة نحو الفي سكوت في السنة ثم ارسل الكران دوك بعضاً من عظماء البلاد يسلمون عليهِ ويستخبرونهُ عن شؤُونهِ فالحوا عليهِ بالسؤَال كثيرًا ولكنهُ تحفظ منهم واجابهم مقتضباً فلما سأَلوهُ عن عدد العسكر الذي يستطيع ان ينجدهم بهِ اذا قصدوا بلادهُ فاجابهم انهُ يومئذٍ بين ايديهم ولا يستطيع جواباً فقالوا اذا لم يكن ممكناً لاهل لبنان ان ينجدوهم فهل يبيعونهم زادًا فقال لهم انكم عارفون بقوة المسلمين وحول العثمانيين فان كنتم قادرين علي غلبة قواتهم فانتم في غنىً عن الاعتماد علي معونة الغرباء في تموينكم فسأَلوهُ كم من العسكر يجتمع تحت لوائك في بلادك فقال لما كنت والياً على لبنان كنت احشد عشرين الفاً غير الذين يقيمون في بلادهم اما الان فاني لسوءِ الحظ لا احكم الاَّ على نفسي

قلت اذا صحت هذه الرواية فانها تدل على اباء فخر الدين ان يكون آلةً في ايدي الاجانب يسعى لهم في غرضهم وصحتها تناقض الراوية القائلة بما سبق لهُ من مخابرتهم للاعتضاد بهم لانهُ لو كانت نفسهُ تحدثهُ بمثل هاتيك المطامع لما ابى الانتفاع بها حين صارت وشيكة الوقوع فكأَن سفرهُ الى هاتيك الديار لم يكن الاَّ فرارًا من العسكر السلطاني وبطشهِ وانما التجأَ الى القوم الذين كان يحسن الى تجارهم المقيمين في بلادهِ بالحماية والعضد وليس غريباً ان

---

(٢) وفي رواية الخالدي ان المال كان قد اخذ خطاء من القنصل المسمى كروانا

يسعى القوم في استنصارهِ علي الدولة لما هو معروف من عدائهم لها ولذلك يحكى انهُ لم يمضِ الاَّ بضعة ايام على محادثتهِ حتى تقلَّص ظلّ الترحاب بهِ وقلت كمية المال المرتب لهُ حتى اصبح محتاجاً الى رهن مجوهرات امرأتهِ للانفاق على بيتهِ مع انهُ اقام في بيزا يعيش عيشةً بسيطة خاليةً من الترف لكنهُ لم يكن مهملاً ومع ذلك فقد تولاَّهُ الملل والضجر لاسيما وقد انقطعت صلاتهُ مع الكران دوك او كادت

اما تاريخ هذه الرحلة ففيهِ خلاف بين الكتبة لكن المرجح وقوعها سنة ١٦١٢ لان ذلك قول جلةٍ من العلماء الاعلام كالبطريرك الدويهي والمطران يوسف الدبس والمرحوم البستاني واحتذاهم صاحب تاريخ كسروان وانما خالفهم الخالدي الصفدي واخبار الاعيان والمسيو دريس صاحب التاريخ العام (Dreyes; Chronologie Universelle) فانهم ارخوا ذلك سنة ١٦١٣ واما الكولونل تشرشل فقد ارخهُ في ٢٥ اكتوبر (١ ت) سنة ١٦١٤ فتأمل

ولما ذاع خبر وصول الامير الى اوربا استلفت الانظار اليهِ واسترعى السماع لكلامهِ وشرع الناس يتساءلون عن شأنهِ وعن وطنهِ وامتهِ ومنشئها وانبرى الباحثون لذلك ينقبون عن الوقائع التاريخية والاشخاص ولا يهتدون وتراهم يخبطون خبط عشواء في اعتبار الدرزية من الفرق الاسلامية والنصرانية فمما قالوهُ انهم بقية شرذمةٍ من الصليبيين حاسبين ان اولئك التجأُوا الى الجبال العصم وانهم ظلوا سحابة ايامهم يعادون اصحاب البلاد فكان هذا القول على غثهِ مقبولاً لدى فخر الدين ليبقى لهُ ما فاز بهِ من التفات الافرنج واحتفائهم بهِ وما علق بهِ املهُ من النصرة السياسية فادعى انهُ من سلالة آل لورين وساعدهُ الحظ ان بعضاً من الذين تهمهم الرسالات الدينية او التجارية في سورية صدّقوا مدعاهُ ليفوزوا منهُ باستمرار حمايتهِ وعنايتهِ بهم اذا عاد الى وطنهِ حاكماً وتمادوا فشرعوا يقيمون الادلة على صحة قولهم حتى قال قومٌ منهم ان كلمة دروز مشتقة من دري Dreux وهو اسم احد امراء الصليبيين زاعمين ان جماعة من الصليبيين الفرنسويين تحت امرة الكونت دري نزلوا تلك البلاد فنسبت الجماعة لزعيمها وعرفت بهِ . ثم ان صاحب اخبار الاعيان يحسب المعنيين من المسلمين وكذلك يحسبهم الكولونل تشرشل في كتابيهِ تاريخ لبنان وتاريخ الموارنة والدروز علي ان معظم المؤرخين الذين قرأنا مؤلفاتهم عنهم يحسبونهم من الدروز وقد صرّح بذلك المحبي والمرادي والبستاني الاَّ ان المحبي يقول في صدر ترجمة فخر الدين ان بعضاً من حفدتهِ قال لهُ ان فخر الدين كان يقول ان اصل آبائنا من الاكراد سكنوا هذه البلاد فاطلق عليهم الدروز باعتبار المجاورة لا انهم منهم قال وهذا ايضاً غير ثابتٍ الخ . قلت لو صحّ عند المسلمين السنيين ان بني معن كانوا

منهم لما تبرأ الامير حسين بن فخر الدين من الدرزية حيث لبث في الاستانة بعد مقتل ابيهِ كما روى المرادي في ترجمتهِ

واما قول حفيد فخر الدين للمحبي ان اصلهم من الاكراد ففيهِ نظرٌ لان القوم كانوا يتفاخرون بنسبهم العربي وانهم من بني ربيعة ناهيك ان شاعرًا معاصرًا لفخر الدين اسمهُ محمد الطالوي كان قد مرَّ على صيداء ومدح الامير ثم اخذ الامير مملوك الشاعر فكتب ذاك الى والي دمشق شريف باشا قصيدةً يشكو فيها ويتظلم من فعلة الامير وفي القصيدة هذا البيت

ماذا لقي في ثغر صيدا من دروزيٍّ غويِّ

ثم ان سفر فخر الدين الى اوربا لم يطفئ جمرة الحرب بل عاد ابنهُ من حوران لنجدة بلادهِ لان احمد بك احطَّ على قلعة شقيف ارنون وحصرها طويلاً وكانت النجدات تتوارد على عسكرهِ من انحاء البلاد حتى حصروا بلاد الامير يونس المعني فاشار عليهِ قومهُ ان يرسل امهُ الى الباشا في طلب الامان والتسليم فارسلها وصحبها بخمسة وعشرين الف غرش واربعة من الخيول العراب هديةً وبعث معها ثلاثين رجلاً من عظماء البلاد وفي غضون ذلك علم بمراسلات سكانهِ والباشا فخرج من دير القمر وكان حسين باشا سيفا مرابطًا في الدامور فلما علم بخروج الامير وعسكرهِ من دير القمر قصدها ليحرقها الاَّ ان ام الامير كانت قد بلغت مخيم الوزير وقدمت لهُ الخيول والمال فرحَّب بها واجاب ملتمسها بان عفا عن ابنها وخلع عليها ولكنهُ اشترط ان يؤدي لهُ مئة الف قرش نصفها فداءٌ عن حرق الشوف والنصف الآخر لكف القتال وابقاء القلاع فارتضت بذلك وظلت عندهُ رهينةً فامر بالانكفاء عن الحرب واطلق الامان لآل معن وارسل بعض اخصائهِ يبشر الامير يونس بما حاز من العفو وان يسعى بتدبير المال

والظاهر من رواية العلاَّمة الدويهي ان مجيء ام الامير للمخابرة بالصلح كان بطلب الباشا اجابةً لالتماس الامير يونس لانهُ رأى البلاد اصبحت عرضةً للحرق والسلب الاَّ ان المحبي يقول انهُ انما ارتضى بنزولها اليهِ لما علم ان فخر الدين قد سافر الى اوروبا وانها لما مثلت لديهِ قالت لهُ نحن ما ضبطنا بلدًا بغير اذن السلطان ولا انكسر عندنا مال وانها اعطتهُ مئة الف للسلطان وخمسين الفًا للوزير ومثلها لهُ

ولما وقع الصلح عاد الباشا الى دمشق والرهائن معهُ وما لبث الامير يونس ان برَّ بوعدهِ وجمع المال المطلوب وارسلهُ الى الباشا بصحبة الشيخ احمد العكس من دروز حفة حلب فدفع الرسول ثمانين الفًا وهرب من الشام بالعشرين الالف الباقية فطلبها الباشا من الامير فاعتذر

عن ادائها ثانيةً بما كان من فعلة ابن العكس فلم يرتضِ بذلك بل ركب للقتال وسار حتى قب الياس فارسل الامير اليهِ مبلغاً واعتذر عن الباقي فابى الباشا الامهال وتوافدت اليهِ العساكر ومن جملتهم الامير احمد الشهابي مع ان الباشا كان قد نكبهُ بعشرة آلاف غرش فسرَّ بهِ ووعدهُ بولاية حاصبيا وسائر وادي التيم فلما علم اخوهُ الامير علي بذلك جمع رجالهُ وانضم الى عسكر الامير يونس وارسل ابنهُ بشرذمة من الرجال لنجدة الامير علي بن فخر الدين في قلعة بانياس اما الباشا فارسل الشيخ مظفرًا برجالٍ من اتباعهِ الى الباروك فلقيهم المعنيون وحاربوهم فكسروهم وردوهم على الاعقاب خائبين واقام الامير يونس في الباروك متوقعاً هجوم الباشا عليهِ بكل قوتهِ الاَّ ان الباشا كان قد دسَّ لاهل الشوف الخروج عن ولاء الامير والالتجاء اليهِ فيلقون خيرًا فاجابهُ بعضهم الى ما اراد فخاف الامير يونس من مغبة الانحراف عنهُ وذهب من الباروك الى بانياس وقدم الباشا فدخل دير القمر واثخن فيها قتلاً ونهباً واحرق منازل المعنيين وارسل الشيخ مظفرًا الى عبيهِ فاسر الامير ناصر الدين التنوخي وجاء بهِ الى الباشا فاكرمهُ وولاهُ الشوف واما المعنيون فاحتشدوا في مرج بسري وجاءهم عسكر الباشا ولما اتقعوا انكسرجيش الباشا فارسل المعنيون يبشرون الامير يونساً بظفرهم و يطلبون مدداً و كذلك بعث الباشا يستقدم حسين باشا سيفا من الدامور فجاء ووقع المصاف وكانت عدة رجال الشوف اربعمائة واما عسكر الباشا فعشرون الفاً فانكسر الشوفيون وولوا الادبار وفي طريقهم التقوا بنجدة اميرهم فعاد بهم الى بانياس وانصرف الامير علي الى بلادهِ وتشتت اهل الشوف في وادي التيم وخلا الجو لجيش الباشا فشرع يعيث في الشوف فساداً من قتلٍ وسلبٍ وحرق ثم قصد قلعة شقيف نيرون فلم يقوَ عليها فتركها وعاد الى دمشق وفي طريقهِ اليها اتمَّ خراب البلاد . ولقد ذكر العلاَّمة الدويهي ان سبب رجوع الباشا عن تتبع نصرهِ ما علمهُ من مقتل الصدر الاعظم نصوح باشا فخاف وسرَّح العرب ونكص راجعاً ولا نعلم موضع هذا السبب من الصحة لان هذه الحرب وقعت سنة ١٦١٢ ولم يكن امدها طويلا ليتجاوز السنة والمعهود ان مقتل نصوح باشا كان في ١٢ او ١٣ رمضان سنة ١٠٢٣ ه المعادلة سنة ١٦١٤ على ما يستفاد من المحبي ومن تاريخ تركيا لجوانين وڤان كافر

ولما رجع احمد باشا الى دمشق عاد الامير يونس الى دير القمر واقام فيها لانهُ كان قد اتخذها مركزًا للولاية منذ فوض اليهِ اخوهُ الامارة فانتقل من بعقلين اليها

ولما عزل احمد باشا الحافظ سنة ١٦١٣ عن الشام وعين محمد باشا جركس ارسل متسلمهُ وامرهُ ان ينادي بالامان و يرد جميع النازحين فضمن بلاد الشوف للشيخ يوسف المسلماني من

اعوان بني معن فارسل اليهِ الامير يونس الشيخ ابا نادر الخازن والشيخ ابا ظاهر حبيش ليسعفاهُ في عد الاشجار واستيفاء المال ولما وصل محمد باشا الى حلب اطلق سراح ام الامير فخر الدين ومن معها من الرهائن التي ابقاها احمد باشا عندهُ حين مصالحتهِ الاولى وعفا محمد باشا عن الامير فخر الدين وأمّنهُ ليعود الى بلادهِ فارسل الامير يونس كتاب الامان الى اخيهِ

وكان فخر الدين احب الوقوف على شؤون بلادهِ فارسل رسلاً اليها مع جماعة من سياح الافرنج فوصلت الرسل ونزلوا ضيوفًا على اخيهِ الامير يونس في دير القمر ثم تفقدوا القلاع وعادوا بالجواب من الامير يونس ومعهم الشيخ خاطر الخازن وخمسون رجلاً من الشوف

وبينما كان في بيزا زارهُ قنصل فرنسا وقدَّم لهُ رسالةً من الملك لويس الثالث عشر يدعوهُ بها الى بلاطهِ ويعرض عليهِ التوسط لهُ لدى السلطان ليعفو عنهُ فيرجع الى قومهِ آمنًا فاجاب متلطفًا بالاعتذار عن قبول الدعوة

وكانت مملكة اسبانيا في ذلك الحين متسلطةً على بعض ارجاء ايطاليا ومن جملتها مسينا فاراد ملكها فيليب الثالث ان يضيف الامير فخر الدين فأمر عاملهُ في مسينا ان يكتب الى كران دوك توسكانا ملتمسًا منهُ ان يبعث الامير الى بلادهِ ضيفًا على حكومتها وفي رواية تشرشل ان الكران دوك طلبهُ ذات يومٍ الى حديقة القصر فذهب اليها مع شيخ الاسلام نصر الدين فرأى الدوك يتمشى مع رئيس وزراء ملك نابولي فلما اجتمعوا اطلعهُ الكران دوك على كتاب من الملك فيليب الثالث يدعوهُ بهِ لزيارتهِ في مدريد ويعدهُ اذا صار مسيحيًّا ان يُعطى امارةً اعظم من امارة لبنان فاجاب الامير شاكرًا احسان ملك اسبانيا وعنايتهُ بهِ ولكنهُ قال اني لم آتِ الى هذه الديار لعلةٍ دينية ولا لاطلب حكومة ولكني جئت ملتجئًا ثم قال للكران دوك انك ظللتني بحمايتك واغدقت عليَّ نعمك ولذلك اصبحت في منةٍ زائدة لفضلك فان شئت ان ابقى هنا فاني مطيع لامرك وان شئت ان ترجعني الى وطني سررت جدًّا اه . الاَّ ان روايةً أخرى تقول ان الكران دوك خيَّرهُ في الذهاب الى مسينا او في البقاء في بيزا فقبل الدعوة ترويحًا للنفس فاعطاهُ الكران دوك سلسلةً من ذهب واعدَّ لهُ مركبًا فسافر بعيالهِ والشيخ خاطر الخازن وبقي الحاج كيوان في توسكانا ولما بلغ الامير مسينا استقبلهُ واليها الاسباني بالانس والترحاب واقام عندهُ مكرَّمًا في قصرٍ عظيم أُعدَّ لهُ

وبعد حينٍ استأذنهُ فخر الدين في الذهاب الى بلادهِ ليطلّع على شؤونها فأذن لهُ وسيَّرهُ ببعض غلمانهِ فلما اقترب من صور ارسل الشيخ خاطر الخازن ليجيء باخيهِ يونس الى قرب الدامور واتفق معهُ على اطلاق البارود في الجو علامةً لوجودهم لكي يقترب منهم فيراهم فذهب

الشيخ خاطر واجتمع في دير بسيم برجلٍ من جماعة اخيهِ ابي نادر واستخبرهُ عن حال البلاد وسأَلهُ عن والي صفد فاجابهُ انهُ الامير يونس كأَنهُ لم يعلم انهُ الامير عليّ او اخطأَ الناقل في الرواية وانهُ استتاب عليها الشيخ ابا نادر ومن ثمَّ ذهب ابو خاطر الى دير القمر واخبر الامير يونس فركب ومعهُ كثيرون من عظماء الشوف الى الدامور واعطوا العلامة فاقترب مركب الامير من البر وشرع الناس يذهبون اليهِ للسلام على فخر الدين والتمسوا منهُ النزول الى البر فابى الربان ذلك كأَنهُ كان محظورًا عليهِ ان يسمح بهِ ولما قضى الامير من الاجتماع وطرهُ سافر فمرَّ على مالطة فرحب بهِ واليها واهلوها ترحابًا عظيمًا وحيوهُ باطلاق المدافع ثم عاد الى بلرمو في ايطاليا

جرجي يني

عمران دمشق

تمهيد

التأليف في هذه الديار ضربٌ من شاقّ الأَعمال لا يُعانيهِ الاَّ من يُدانيهِ لضعف مادة العلم وكساد بضاعة الفضيلة وتباين المشارب والمذاهب وشدَّة الضغط والتعسُّف بحيث يضطر في الغالب من يجرأُ عليهِ الى التقيَّة يستعملها فيما يكتب على حين أَنهُ لا تقيَّة في العلم ولا خشية من التصريح بالحق الاَّ في اقطار يُحظر فيها كلُّ شيء خلا التمويه والتدليس

لي صديق من حملة العلم اوعز اليَّ ان أُنشئَ رسالة أُلمُّ فيها بما تقلَّب على دمشق الفيحاء من كُثر وقُلّ وعلم وجهل فامتثلتُ امرهُ وانا أُحاذر ان تنطبق عليَّ بالقول والفعل جملةٌ فاهَ بها احد كتاب الفرنسيس وقد أَلف كتابًا وهو في الخامسة والعشرين من عمرهِ ”إن هذا السنَّ يستسهل العقل فيهِ حلَّ المشكلات ويأخذ الاشياء بظواهرها ويحلُّ الخيال منهُ محلَّ النقد والتنقيب و يعتقد المرءُ في الامور بغير قيد وهو سنٌّ لو انصف اهلوهُ ما كتبوا ولا أَلَّفوا“

واذ شرعتُ في العمل تيسَّر لي رغم المصاعب من مخطوط الأَسفار ومطبوعها ما لم اتوقع الحصول عليهِ فاستأنستُ ببعض واقتبست من آخر ومما طالعتهُ من المخطوط جانب من تاريخ دمشق لابن عساكر المتوفى سنة ٥٧١ والضوءِ اللامع لاهل القرن التاسع للسخاوي المتوفى سنة ٩٠٢ والكواكب السائرة في اعيان المئة العاشرة للنجم الغزي المتوفى سنة ١٠٦١ ومختصر الدارس في تواريخ المدارس للعلموي والاصل للنُعَيمي المتوفى سنة ٩٢٧ ومحاسن الشام للبدري وحوادث دمشق اليومية من سنة ١١٥٤ الى سنة ١١٧٦ لابن بدير وكتاب ثمار المقاصد في ذكر

المساجد ليوسف بن عبد الهادي كتبهُ سنة ٨٨٣ وتاريخ في ١٤٠ صحيفة منصَّفة القطع ناقص كرَّاساً من الاول ارّخ فيهِ مؤلفهُ منذ ابتداء العالم الى زمن قايتباي الجركسي سنة ٨٧٢ وعليهِ حواشٍ بقلم محمد الاكمل بن مفلح المتوفى سنة ١٠١١ واظنهُ مختصرًا من تاريخ ابن عساكر مع زيادة في آخرهِ

وطالعت من المطبوع طرفًا من تاريخ الطبري المتوفى سنة ٣١٠ وتاريخ الكامل لابن الاثير المتوفى سنة ٦٣٠ وتاريخ المسعودي المتوفى سنة ٣٤٦ وتاريخ ابن خلدون المتوفى سنة ٨٠٨ وكتاب نخبة الدهر في عجائب البر والبحر لشيخ الرَّبوة المتوفى سنة ٧٢٧ وجغرافية ابي الفدا المتوفى سنة ٧٤٣ وجغرافية المقدسي ومسالك الممالك للاصطخري والمسالك والممالك لابن خردادبه ومعجم البلدان لياقوت الحموي المتوفى سنة ٦٢٦ وازهار الروضتين في اخبار الدولتين لابي شامة المتوفى سنة ٦٦٥ وعيون الانباء في طبقات الاطباء لابن ابي أُصيبعة المتوفى سنة ٦٦٨ وتاريخ ابن خَلّكان المتوفى سنة ٦٨١ وذيلهُ لابن الكتبي المتوفى سنة ٧٦٤ وخلاصة الاثر في تراجم اهل القرن الحادي عشر للمحبي المتوفى سنة ١١١١ وسلك الدرر في اعيان القرن الثاني عشر للمرادي المتوفي سنة ١٢٣٢ وخلاصة تاريخ العرب للمستشرق سيديليو المولود سنة ١٨٠٨م وروضة المناظر لابن الشحنة المتوفى سنة ٨١٥ واخبار الدول للقرماني المتوفى سنة ١٠١٩ وتاريخ الخلفاء للسيوطي المتوفى سنة ٩١١ وتاريخ بغداد لعثمان بن سند البصري المتوفى سنة ١٢٥٠ وقطف الزهور ليوحنا ابكاريوس وتاريخ الدولة العلية العثمانية لمحمد فريد وتاريخ سورية لجرجي يني والروضة الغنَّاء لنعمان القساطلي والكامل للمبرّد المتوفَّى سنة ٢٨٥ ورحلة ابن بطوطة المتوفى سنة ٧٧٧ وكتاب التعريف بالمصطلح الشريف للعمري المتوفى سنة ٧٤٩ وجهان نما لكاتب جلبي المتوفى سنة ١٠٦٧ ورحلة المستشرق فولني المتوفى سنة ١٨٢٠ وغيرها من الرحلات والتقاويم والكتب الجغرافية والتاريخية المطبوعة بالافرنسية والتركية

هذه هي مآخذي ولقائل ان يقول مالك وللتعني في تصفح كل هذه الصحائف من اجل وضع رسالة في تاريخ مدينة واحدة . ولو حقق لعلم ان هذا الاحتفال وان جلَّ لا يُعدُّ شيئًا في جانب ما يُقاسيهِ الغربيون من الإمعان في التنقيب والتنقير وإغراق النظر في المبحث الصغير فضلاً عن الكبير . وكم من غربيٍّ صرف شطرًا من حياتهِ في تأليف كُتيبٍ دون ان تعتريهُ ملة وسآمة وكم من شرقيٍّ بدأ في عمل فعاودهُ ما رُكز في طباع الشرقيين من قلة الثبات فوقف في منتصف الطريق وربما انقطع في اوّلهِ وما ذاك الاَّ من انحلال الروابط وقلة الوسائط

ولعلَّ الناظر في هذا الوجيز يلاحظ معي ان سلسلة التاريخ انقطعت في اكثر القرون

خصوصاً في المتوسط منها فنازلاً وذلك لارتفاع العلم النافع من بين اظهرنا وعموم البلوى بالجهل المركب حتى زهد الناس في فن التاريخ وحسبوهُ اقاصيص خرافية لُفِقت للمستضعَفين وباليةُ رائج بينهم رواج كتب المجون والاضاليل

كُتبت بعض تواريخ في هذه القرون لكن الغرض والعوض اعميا اصحابها فلم يُدونوا الاَّ ما يرتضيهِ الكبراء ويُحظي بالزُلفى ممن انتسبوا اليهِ . ومَنْ لنا بمؤرخ عالم عاقل كالجبرتي الذي ارَّخ حوادث مصر في اواخر القرن الثاني عشر واوائل القرن الثالث عشر نستقي من موردهِ فان الحال في سورية كانت سواءً والقطر المصري ولكن اخبارهُ حُفظت وضاعت اخبارنا وما ذاك الاَّ لأن من تسمَّوا بالعلماء تجافوا مؤخرًا عن خدمة هذا الفن بعد ان كان اساطين الرجال في غابر الزمن متولين امرهُ يقتطعون سُويعات من اوقاتهم العزيزة لينقلوا الاخبار مخافة ان تعبث بها الاغمار وتخفيها يد الاشرار من اجل ذلك خلَّف اكثرهم في فهارس مصنفاتهم تواريخ باعها المتأخرون منا بالمجّان فغادرت ربوعنا غير آسفة اذ أحلها الاغيار محلَّ الاعتبار وامسينا نقرأُ في تراجم الاسلاف اسماء زهاء الف وخمسمائة كتاب في التاريخ ثم اذا عددنا ما في الايدي منها لا نراهُ يربو على الخمسين تاريخًا

هذا وقد ادمجتُ اثناء الكلام على عمران دمشق طرفًا من اخبار الدول التي تعاقبت على هذه الحاضرة لاني رأيتني مضطرًا الى ذلك يقين انَّ حال البلاد متعلق بسياستها تعلق الارواح بالاشباح واغتفرت هذا الاستطراد لنفسي علمًا بان من لا تروقهُ انباء عاصمة عظيمة قديمة يقرأُ على الاقلّ إجمالاً عن تاريخ الاسلام قد يتحصل منهُ على اثير يغنيهِ عن كثير

ولا اقول انني راعيت فيما كتبت الزمان والمكان بل اثبتُّ كل ما ينبغي لمؤرخ ان يذكرهُ واخترت في الاحايين التلميح بدل التصريح لجلاء الكلام على من يتدبر السياق والسباق . واعتمدت على التاريخ الهجري في اكثر الروايات اذ لم اطمح الى تغييرهِ كما اني لم أُغير التاريخ الميلادي . وجريت على اسلوب مؤرخي الفرنجة في تقسيمهم عمر العالم الى ثلاثة اقسام القرون القديمة والقرون المتوسطة والقرون الحديثة ويبتدئ الاول منذ عُرف التاريخ الى سنة ٣٩٥م ابَّان انقسمت المملكة الرومانية الى شرقية عاصمتها القسطنطينية وغربية عاصمتها رومة . ويوصلهُ بعضهم الى سنة ٤٧٦ حين انقرضت تلك المملكة بتاتًا . والقرون المتوسطة تبتدئ من انتهاء القرون القديمة الى ان فتح السلطان محمد الفاتح مدينة القسطنطينية سنة ١٤٥٣م و٨٥٧هـ والقرون الحديثة تبتدئ من استيلاء الفاتح على هذه العاصمة الى حدوث الثورة الفرنسوية سنة ١٧٨٩ وما بعد ذلك يُدعى بالتاريخ العصري

وتوخيت الاختصار ما امكن فجاءت هذه العجالة ما ترى لا ما يجب ان ترى والنية معقودة ان فُسح في الاجل ان اعيد فيها النظر ثانياً ازيد وانقص ريثما تتم للنفس امنية تسعى الى ادراكها من التمحيص والتعديل. وعسى ان لا يكون نصيبي من ذلك نصيب من يحاول تطبيق القضايا العلمية على الاصول الدينية . ورجائي ان افوز باجر من يضمّ الموزَّع ويلأم صَدْع المهزَّع وان يتفضل رصفائي في خدمة العلم بما يعنّ لهم من الملاحظات مشفوعة بالتدقيق في الاستقراء لتقابل مني بالمنة والثناء

(١) عمران دمشق في القرون القديمة

بالطمع والجهل كثرت شرور البشر فبُدّلت الارض غير الارض وبضدّهما استبحر عُمران وسعد انسان . قال احد علماء الافرنج كانت محبة الذات في ابان اعتدالها مبدأ سعادة وعنوان كمال فلما اصبحت عمياء مختلة استحالت سمًّا زعافًا وغدا الطمع وهو ابن الجهل واليفهُ داعيًا الى الشرور كلها التي دمَّرت الارض

وما من قانون الهيّ او وضعيّ الاَّ وعرَّف الخلق طرق الخير والشر ودلهم على حدائق الازهار ومتألف العوسج بَيْدَ انَّ الارض لا تعمر باسبابها الطبيعية ما لم تشفع بالصناعية فقد غصت بلادنا مثلاً بخصب دائم وماء دافق وريح طيبة وفصول معتدلة فما اغنت غناءها بجانب ما كانت تستند اليهِ في رُقيها من عدل وعلم فلما دالت دولتهما تنكر عمرانها وتفرَّق سكانها

بالطمع والجهل تداعت اسوار نينوى والجنان المعلقة ببابل وقصور تدمر ومعابد بعلبك وصروح القدس ودثرت اساطيل صور ومعامل صيداء وملاحة ارواد وآثار غزة وعسقلان وبصرى وجرش وعمَّان وبادت الزهراء والحمراء وانقرضت الخضراء والشقراء وتقوَّضت الحدباء والزوراء وادبرت الشهباء والفيحاء

بالطمع والجهل جرى ما جرى لتلك الحواضر وفقد ما تفاخر بهِ الارض من ناطق وصامت وعجماوات وجمادات وتعطلت هاتيك المرافئ التي طالما اقلعت منها سفن الفينيقيين واليهود وابحرت في شواطئ شبه جزيرة العرب ماخرةً العباب الى الخليج الفارسيّ والبحر الهنديّ لتقلّ من عمان والبحرين نواتج القارَّتين الاسيوية والافريقية من تبر وذهب وفضة ولؤلؤ واحجار كريمة وشال وعطور وبخور وصبر وعاج ومسك وعود وطواويس وقرود . ومن تلك الموانئ كانت تسير المراكب المصرية والسورية لتوزع اوساقها على سواحل البحر المتوسط على حين انك لا تسمع بمثل هذه الحركة التجارية اليوم الاَّ في مراسي اوربا واميركا منها واليها ذاهبة جائية

لا جرم ان المتفلسف في طبائع الاكوان يعلق الاسباب على مسبباتها فاذا رأى عمرانًا بين امة حكم انهُ كان بعدل وحرية او وحدة دينية او وطنية او سيف وحكمة او حسن قيام على تجارة وزراعة وصناعة واذا شهد العكس نسبهُ الى سوء ادارة وفساد اخلاق او ظلم وشقاق او حروب متتابعة ودول متعاقبة وجدالات اهلية . وما كان ربك ليهلك القرى بظلم واهلها مصلحون

و بعدُ فقد كانت دمشق الفيحاء مصر الشام وامّ مدنها وعروس المشرق لوقوعها في مركز تنتهي اليهِ السيارة المشرقية الى الافق المغربي وقد عظم شأنها بين المدن الحافلة العريقة في القدم الباقية في لوح الوجود فروى تاريخ القرون المتوسطة عن عظمتها السالفة عجائب ما كان المرء ليخالها الاَّ مبالغًا فيها لو لم تشهد بها الآثار والاخبار. وبلَتْ كسائر الامصار الحلو والمرّ من صروف الدهر فنالت حظها من بهاء ورفعة وانحطاط وضعة وأربَتْ شقوتها على سعادتها فعدت ايامها السود كثيرة في جنب ايامها الغرّ المحجلة

واختلفت الروايات في سبب تسميتها واصل بانيها بحيث اتسع مجال القول للوضاعين والقصاصين واقوالهم في الباب متخالفة ولا اختلاف علماء الطبيعة في عمر الارض والصحيح الذي ينبغي ان يعوَّل عليهِ انَّ التاريخ القديم غامض للغاية اللهمَّ الاَّ ما جاء من طريق معاصرينا من مؤرخي الفرنجة الذين يستدلون على الحوادث بآثار لا تقبل الانكار

ولقد قسم العارفون بايام الناس تاريخ دمشق الى ستة ادوار كما يقسم علماء الجيولوجيا طبقات الارض الى ستة اقسام في الغالب ايضًا فكانت مستقلة نحو ١٤٥٠ سنة وبسط البابليون والفرس ايديهم عليها ٤١٧ سنة وظلَّت بها حكومة اليونان السلوقيين ٢٤٧ سنة وحكمها الرومان ٦٩٩ سنة وسادها العرب المسلمون ٤٤١ سنة وتملكها الاتراك العثمانيون منذ سنة ٩٢٣ﻫ

وما من اثر يدلُّ على كيفية حكومتها ايام استقلالها وعمرانها في تلك العصور المظلمة . واذ سقطت مرارًا في ايدي اليهود صيَّروها عاصمة سورية ولذا تكرر اسمها في سفر التكوين تحت اسم آرام وحكمها ملوك وردت اسماء بعضهم في التوراة لكن تصعب معرفة ازمانهم واحوالهم

ودخلت دمشق في حوزة ملك اشور سنة ٧٤٠ ق . م فقاست ما قاستهُ مملكة اشور من شقاء ونعماء ولم تكن هذه الحكومة في سورية مضرة بالتجارة والثروة مع ما عُرفت بهِ من القسوة والهمجية. وخضعت دمشق للفرس نحو ثلثمائة سنة ولما لم تكن حكومتهم تُحسن الاستعمار انحط عمرانها وظلَّت نحو الف سنة تتسكَّع في بيداء الصَّغار وتتردَّى في مهاوي الدَّمار واقلُّ اعمال الفرس فيها كما في تاريخ سورية حمل اهلها على الجلاء الى بلاد مادي وسكنى الاشوريين فيها

ولما نشب القتال بين داريوس ملك الفرس وهوصاحب سورية اذ ذاك وبين الاسكندر المقدوني سنة ٣٣٣ ق . م تقهقر جيش داريوس وانهزم الى ما وراء الفرات فاستولى الاسكندر على سورية وفلسطين ونصب احد رجالهِ واليًا على دمشق والبقاع ولم يروِ التاريخ عن دمشق شيئًا على عهد هذا الفاتح العظيم وقد كانت البلاد تنقاد اليهِ عفوًا صفوًا وتمشي امورها زهوًا رهوًا حتى اذا هلك انقسمت مملكتهُ بين اربعة من قوادهِ فكانت سورية لسلوقس منذ عام ٣١٢ ق . م . وكانت الدولة السلوقية دولة حرب وشقاق فارتفع الامن في ظلها وفسد النظام واصبحت سورية باجمعها حوالي سنة ٨٧ ق . م على شفا جرف هارٍ من الاخطار اذ كانت رومية تطالبها ببسط نفوذها عليها ومصر تحاربها لتضمها اليها والفرس يجتاحون البلاد بأْسهم وشدة مراسهم حتى قررت لهم السيادة الادبية عليها ولا تسل عما مُنيت بهِ البلاد اوائذٍ من ضعف الحال والرجال . ولاضطراب حبل المملكة السلوقية امتدت يد ملك ارمينية الى سورية وحكمها ١٤ عامًا الى ان جاءها الرومان سنة ٦٥ ق . م واستخلصوها منهُ . ويقول اغلب اهل السير من الافرنج ان الدولة الرومانية كفلت السوريين بالعدل فاحسنت كفالتهم مع ما كانت عليهِ في داخليتها من المشاغب والمتاعب حتى اذا شاخت دولتهم وغدا ملوكها لا يُفكرون الاَّ في نيل تاج الملك ولو مُلوَّثًا بزعفران الدماء وقصاراهم ان يعيشوا في قصورهم مترفين وفي شهواتهم منغمسين يحرسهم الحجاب وتتسرَّب الى خزائنهم اموال الجبايات انقلبت الحال الى اتعس مما كانت عليهِ من قبل . وبالنظر لتجافي هؤُلاء الملوك عن التبصر في احوال رعاياهم كان اكثرهم يُقتلون غيلة بيد قُوادهم او جندهم او شعبهم فرارًا من سوء ادارةٍ افقدت أُمتهم ومجاوريها الحرية والعدل . وعلى هذا امست دمشق بل قطرها في حماٍ مسنون من الرق شأن كلّ مغلوب على امرهِ لا يعرف اهلها غير الذلة والمسكنة يُضاف اليهما ما يتأصل في اهل كلّ قُطر ينصبغ بصبغة الحكومة المتغلبة من مكر ونفاق وفساد في العاداتِ والاخلاق

هذا طرف من حال الفيحاء قبل الاسلام وقد خضعت للرومان مدة استيلائهم على سورية وما دار في خلدها الانتقاض عليهم . واذ كانت انطاكية عاصمة البلاد لم تلحق دمشق شأوها في العظمة والشهرة بل تخلفت عما يؤَهلها اليهِ مركزها الطبيعي وان تكن خلفت تدمر بعد سقوطها في عمرانٍ لم يبقَ منهُ الآن سوى احجارٍ مبعثرة ونواويس مكسرة تدلُّ مع هذا على ضخامة سلطانها واستبحار عمرانها واسماء رواها التاريخ فغابت عن العيان مسمياتها بتة كالبناء العجيب المسمى بالبريص وفيهِ يقول حسان

يسقونَ من ورد البريص عليهمِ   بردى يصفق بالرحيق السلسلِ

وقال وعلة الجرمي

فما لحم الغراب لنا بزادٍ   ولا سرطان انهار البريصِ

قال ياقوت وهذان البيتان يدلان على ان البريص اسم الغوطة باجمعها الا تراه نسب الانهار الى البريص وكذلك حسان فانهُ يقول يسقون ماء بردى وهو نهر دمشق من ورد البريص. على ان المسعوديّ يقول ان هذا البناء كان موجوداً في سنة ٣٣٢ ه في وسط المدينة وكان يجري فيهِ الخمر في قديم الزمان وقد ذكرتهُ الشعراء في مدحها لملوك غسَّان من مأرب وغيرهم

(٣) عمران دمشق في القرون المتوسطة

جاء المسلمون لفتح دمشق عام ١٤ ه وكانت مختلة بحروب لم تنتفض بعد من عوارضها معتلة بامراض بادية للفاتح اعراضها وبعد حصار نازلها خالد بن الوليد من الباب الشرقي حتى افتتحها عنوة فاسرع اهل البلد الى ابي عبيدة بن الجراح ويزيد بن ابي سفيان وشرحبيل بن حسنة وكان كل واحدٍ منهم على ربع الجيش فسألوهم الامان فأمنوهم وفتحوا لهم الباب فدخل هؤلاء من ثلاثة ابواب ودخل خالد من الباب الشرقي بالقهر وملكوهم وكتبوا الى عمر بن الخطاب رضي الله عنهُ بخبر الفتح فاجراها كلها صلحاً

وهنا لا بأس بايراد طرف من احوال الدولة الاموية التي اتخذت هذه المدينة عاصمة جديدة للاسلام خصوصاً وانها كانت مبدأ دور ثانٍ لهذه الامة باحداثها اموراً اوجبت انقلاباً عظيماً اهمهُ تغير وضع الامامة وبالاشارة الى طور الدور الاول يتجلى الفرق فاقول:

الاسلام جامعة عظمى لمصالح الناس دعا اليها الرسول العربيّ عليهِ الصلاة والسلام فكان فيهِ هادياً ومهيمناً فلما توفاهُ الله شعر رؤَساء الامة بوجوب اقامة خليفة يخلفهُ في بث الدعوة وتوطيد الجامعة. وبعد خلاف نصبوا بالاتفاق اصلحهم لهذا الشأن ابا بكر الصديق اماماً وخليفة وهو في سيرتهِ المثلى على ما يعرفهُ من شمَّ ريح التاريخ وكان من اجتهادهِ في حب المصلحة العامة ان انتخب خليفة يخلفهُ فعهد الى عمَر بن الخطاب وهو على ما هو من التوفر على اعلاء الكلمة فقد لا يوجد جاهل بتلك السيرة العُمَرية

وعرف عمر ان نصب الامام من حقوق الجماعة فلم يغصبهم اياها حتى انهُ لما طعن قيل لهُ يا امير المؤمنين لو استخلفت فقال "لو كان ابو عبيدة حيًّا لاستخلفتهُ وقلت لربي ان سألني سمعتُ نبيك يقول انهُ امين هذه الامة ولو كان سالم مولى ابي حذيفة حيًّا لاستخلفتهُ وقلت لربي ان سألني سمعت نبيك يقول ان سالماً شديد الحب لله تعالى". الى ان قال "عليكم هؤلاء الرهط وهم عليٌّ بن ابي طالب وعثمان بن عفان وعبد الرحمن بن عوف وسعد بن ابي وقاص

والزبير بن العوام وطلحة بن عبيد الله فليختاروا منهم رجلاً " الى آخر ما تواتر في قصة الشورى

ولما انتخب رؤساء الصحابة عثمان بن عفان تطالَّ بنو امية الى غرض كان يحيك في صدورهم واعني بهِ الرئاسة العظمى على المسلمين كافة وذلك لانهم راجعوا تاريخهم فعلموا انهم كانوا في جاهليتهم رؤساء وحب الرئاسة كما يعهدهُ علماء الاخلاق خلة ينزع اليها كل من كان لهُ قديم يرجع اليهِ وتنمو جرثومتها في الناشئين في مهادها حتى اذا اضاء لهم برق مشوا في سبيلها حثيثاً شان الأُمويين في خلافة عثمان فانهم ظنوا الامر امرهم لا امر الامة وطمعوا في الولايات والاعطيات حتى نقم عليهم من نقم وكان من التألب على عثمان ما اشتهر امرهُ وبقتلهِ انفرجت على المسلمين ثغرة ما سُدَّت ولن تُسدّ

ولما ولي الشام معاويةُ بن ابي سفيان مُقدَّم بني امية اتخذ دمشق قاعدة لامارتهِ لاسباب منها انها كانت متوسطة بين البلاد غزيرة الخيرات للجند ملائمة لابهة الملك وعظمة السلطان . ثم اخذ في تسخيرها لامرهِ وتمهيدها لذريتهِ وتربية اهلها على الطاعة للرؤساء والاستسلام للامراء حشدها باهل عصبيتهِ واستمال قلوب جند الشام وهم العرب المعنيّون بقول المؤرخين اهل الشام لا اهلها الاصليون من الروم فان هؤُلاء ما كان لهم في المسألة ناقة ولا جمل . وعلى اثر ذلك قام معاوية يطالب بدم الخليفة الثالث فكان ما كان من امر وقعتي الجمل وصِفّين وقيام الخوارج وتشتت الكلمة بتلك العصبيَّات على نحو ما رواهُ الطبريُّ وابن الاثير وغيرهما من المؤرخين المعتدلين

ومن البديهيّ ان الحضارة بنت الترف والترف ابن الغنى والغنى من طبيعة الملك وملك بني أُمية كان يمتدُّ من اقاصي جبال حملايا في الشرق الى اداني جبال الأَلب وسط فرنسا في الغرب وحضاراتهم كانت نسخة منقولة عن الفرس والروم لان الحضارة تنتقل في الغالب من الدول السالفة الى الدول الخالفة . وقد طفح التاريخ بادلة تُثبت انغماس بني امية في الترف انغماساً لم يعهدهُ العرب الفاتحون

سار عمر بن الخطاب الى الشام اربع مرات الاولى على فرس والثانية على بعير والثالثة على بغل والرابعة على حمار فخرج معاوية للقائهِ وشارات الأُبهة تحفُّهُ وترفُّهُ فلما تقابلا تأَثر عمر من هذا البَذَخ ونظر شزراً الى معاوية قائلاً أكسروية يا معاوية . وفي رواية ابن عبد ربهِ عن يزيد عن ابيهِ قال إن عمر بن الخطاب لما قدم الشام ومعهُ عبد الرحمن بن عوف تلقَّاهما معاوية في موكب ثقيل فجاوز عمرَ حتى أُخبر فرجع اليهِ فلما قرب منهُ نزل اليهِ فاعرض عمر عنهُ فجعل يمشي الى جنبهِ راجلاً فقال لهُ عبد الرحمن بن عوف اتعبتَ الرجل فاقبل عليهِ عمر فقال يامعاوية انت صاحب الموكب آنفاً مع ما بلغني من وقوف ذوي الحاجات ببابك. قال نعم يا امير المؤمنين.

قال ولمَ ذاك قال لانَّا في بلد لا نمتنع فيهِ من جواسيس العدوّ ولا بدَّ لهم مما يُرهبهم من هيبة السلطان فان امرتني بذلك اقمتُ عليهِ وان نهيتني عنهُ انتهيتُ فقال لئن كان الذي تقولهُ حقاً فانهُ رأي اريب وان كان باطلاً فانها خدعة اديب وما آمرك بهِ ولا انهاك عنهُ

وذكر المُبرّد ان معاوية قدم على عُمَر بن الخطاب من الشام وهو أَبضُّ الناس فضرب عُمَر بيدهِ على عضدهِ فاقلع عن مثل الشراب او مثل الشّراك فقال هذا واللهِ لتشاغلك بالحمامات وذوو الحاجات تُقَطع انفسهم حسرات على بابك . وروى ابن الاثير ان عُمر لما قدم الجابية من قرى دمشق وهي ناحية بالجولان كان اول مَن لقيهُ يزيد وابو عبيدة ثم خالد عليهم الديباج والحرير فنزل واخذ الحجارة ورماهم بها وقال ما اسرع ما رجعتم عن رأْيكم اياي تستقبلون في هذا الزّي وانما شبعتم منذ سنين وباللهِ لو فعلتم هذا على رأس المائتين لاستبدلتُ بكم غيركم. فقالوا يا امير المؤمنين انها يلامعة وان علينا السلاح قال فنعم اذن وركب حتى دخل الجابية وعمر وشرحبيل كانهما لم يتحركا

هكذا كان الخلفاء الراشدون يعاملون عُمَّالهم ليربأُوا بهم عن موارد الترف والسرف في حين كانوا باول النشوء وصدر الفتح. ومن المسلَّم ان معاوية كان من السياسة والحلم على جانب واجمع ثقات المؤرخين على انهُ ما فتئَ يستميل رجالات قريش اليهِ منذ جرى في شغاف قلبهِ حب الإِمارة وقوي فيه عرق الامل بنيْلها . وممن مالأَهُ على تحقيق رغائبهِ عمرو بن العاص قريبهُ وعاملهُ على مصر والمغيرة بن شعبة عاملهُ على الكوفة وهما الداهيتان اللذان يقول فيهما الحسن البصري — كما في السيوطيّ — انهما افسدا امر هذه الامة لاحتيال الاول برفع المصاحف يوم صِفّين وتقرير التحكيم ولأَن الثاني كان من الدّاعين لاخذ البيعة ليزيد فاوعز معاوية سرًّا الى ولاة الامصار ان يوفدوا الوفود اليهِ يزينون لهُ اعطاء العهد لابنهِ حتى استوثق لهُ اكثر الناس وبايعوهُ والسيوف مُصْلتة على رقاب كبار الصحابة وقت اخذ البيعة كيلا ينبسوا بحلوة ولا مُرّة فتسلسل الملك في اعقابهِ سُنَّةَ قيصر و كسرى بل كما قال عبد الرحمن بن ابي بكر سنة هرقل كلما مات هرقل قام هرقل

ولما قُضي على اهل الشام ان يكونوا بعدُ جيشَ بني أُميّة الخاص يقاتلون بهِ من يناوئهم في القاصية والدانية لم يكن نصيب بلادهم من العمران كنصيبهم من خدمة الاغراض . ومن جملة وصايا معاوية ليزيد قولهُ انظر اهل الشام فليكونوا بطانتك ورعيتك فان رابك من عدوّك شيء فانتصر بهم فاذا اصبتهم فاردد اهل الشام الى بلادهم فانهم ان اقاموا بغير بلادهم تغيرت اخلاقهم

لاجرم ان ملك بني أُمية على الجدّ في قطع شأفة الخارجين عليهِ لم يدم سوى احدى وتسعين سنة وتسعة اشهر او الف ومئة شهر تعاقب عليهِ اربعة عشر ملكاً كلهم متشابهون في مسلكهم الاَّ قليلاً دَعْ عنك افضلهم واعقلهم واعدلهم عمر بن عبد العزيز فانهُ لما شرع يتمكن من هدم ما بني من القواعد ليقوم باصلاح حقيقي دسَّ اليهِ بعض أُسرتهِ من سقاهُ السم فذهب حميد الاثر ولم يلِ الخلافة سوى ٢٩ شهراً

تبين مما تقدم ان الدولة الأُموية لم تتفرغ للعمران لانصراف وجهتها الى الفتوح وبث الدعوة وكبح جماح الخوارج والقدرية والازارقة والصفرية وغيرهم ممن

مضوا قتلاً وتمزيقاً وصلباً   تحوم عليهم طيرٌ وقوعُ

قال احد حكماء السياسة لا سلطان الاَّ بالرجال ولا رجال الاَّ بمال ولا مال الاَّ بعمارة ولا عمارة الاَّ بعدل فعمران هذه الحاضرة على عهد تلك الدولة فضلاً عن انهُ نُقل عمن قبلهم نقلاً اعتورهُ القلب والابدال لم يكن في الدرجة التي يزعمها بعضهم اللهمَّ الاَّ ما كان من قصورهم ومصايفهم في الضاحية التي يتعذَّر الآن تحديد مراكزها لان بني العباس لما اخذوا الملك من بني أُمية هدّوا قصورهم كما نبشوا قبورهم

وقد انبثت قصور الامويين بجوار جامعهم الذي بناهُ الوليد بن عبد الملك ذاك المولع بتشييد القصور المنجَّدة والصروح الممرَّدة وهو صاحب البلاط الغريب . اما الخضراء وهي بلاط معاوية فقد كانت في الحيّ المعروف اليوم بمصبغة الخضراء من احقر احياء المدينة تكون عن شمال الداخل الى الجامع من باب جيرون اي الباب الشرقي المسمى اليوم بباب النوفرة لوجود فوَّارة بقربهِ منذ مئات من السنين يؤيد ذلك ما رواهُ المبرّد في كاملهِ من ابيات في بنت معاوية قال في مطلعها

صاح حيَّا الالهُ اهلاً وداراً   عند اصل القناة من جيرونِ
عن يساري اذا دخلت من البا   ب وان كنت خارجاً فيميني

وذكر ابن خلكان ان دار سليمان بن عبد الملك كانت موضع سقاية جيرون وذكر القرماني ان عمر بن عبد العزيز لم يسكن في دار الخلافة بباب الخضراء وسكن شمالي جامع دمشق بمكان يعرف اليوم بخانقاه الشميصاتية وقال ايضاً كانت دار هشام بن عبد الملك عند سوق الخواصين مكان تربة نور الدين الشهيد وقيل في الكلاَّسة . وروى ابن عساكر ان دار مسلمة بن هشام وكانت معروفة بدار اماجور متصلةً بالجامع من ناحية باب البريد ملاصقة دار ابي الدرداء

(ستأتي البقية)   محمد كرد علي

كلام كارنجي عن نفسهِ

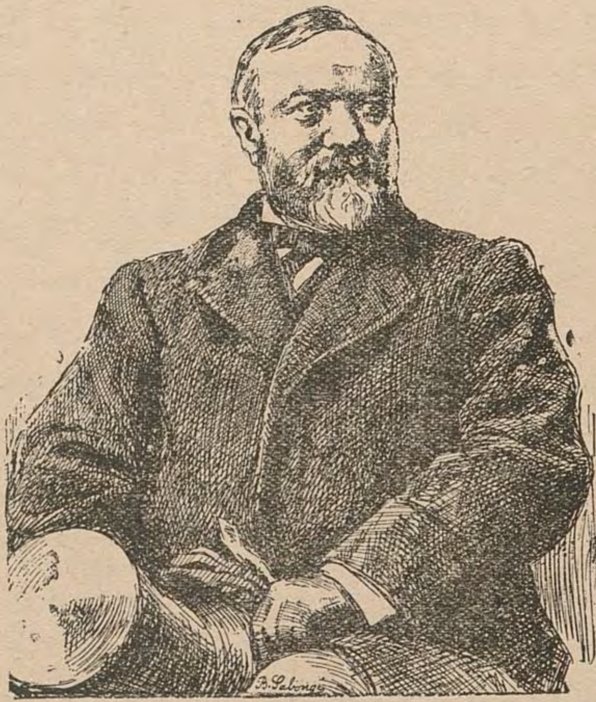

نشر المقتطف في اوائل العام الماضي مقالة وجيزة فيها طرف من ترجمة هذا المحسن الشهير والغني الكبير وقد رأَيتُ الآن مقالة وجيزة من قلمهِ نفسهِ وصف فيها احوالهُ في صباهُ وكيفية ارتقائهِ واكتسابهِ الاموال الطائلة فرأَيت ان اترجمها افادة للشبان من قرَّاءِ المقتطف لما فيها مما ينهض الهمم ويقوي العزائم قال:

" اضطررت لحسن حظي ان اعمل عملاً نافعاً لي ولغيري وانا صغير السن جدًّا لاني كنت بكر والديَّ وكانا فقيرين . وكان ابي حائكاً من اهالي اسكتلندا وكانت احوالهُ حسنة نوعاً لما ولدتُ كان عندهُ اربعة انوال من الانوال التي ينسج بها النسيج المعرَّق المعروف بالدمشقي وعندهُ صنَّاع ينسجون بها وذلك قبل استعمال البخار في معامل النسج . وكان التجَّار يقدمون الغزل للحاكة فيحيك هؤُلاء لهم ما يطلبونهُ منهم

" ولما اتسع نطاق المعامل الكبيرة ضعف شأْن الحاكة الصغار الذين يحيكون بايديهم وكان ابي من جملة الذين اضرَّ بهم ذلك فدخل البيت ذات يوم وهو يقول انهُ لم يبقَ عندهُ

شغل لانهُ اخذ المنسوجات التي نسجها الى التاجر فاخذها التاجر منهُ وقال لهُ انهُ ما عاد يمكنهُ ان يعطيهُ شيئًا آخر لينسجهُ لهُ . وهذا اول امر مهم ادركتهُ في حياتي

" ودارت المذاكرة في بيتنا على بيع الانوال الاربعة والمهاجرة الى اميركا وبقي والداي يتذاكران في ذلك اياماً واخيرًا قرَّ القرار على بيعها واتّباع اقاربنا الذين سبقونا الى بتسبرج باميركا . فهاجرنا ووصلنا مدينة اليغاني ابي وامي وانا واخي . ودخل ابي عاملاً في معمل من معامل القطن وجُعلت انا صانعًا فيهِ وجُعلت اجرتي خمسة شلنات في الاسبوع وكان عمري اثنتي عشر سنة وهناك ابتدأ استعدادي لمعاطاة الاعمال

" وقد تعاملتُ بعد ذلك بمبالغ كبيرة من المال ومرَّت في يدي ملايين كثيرة ولكن السرور الذي شملني حينما قبضت اجرتي الاولى يفوق كل سرور شملني بعدهُ من كسب المال لانها كانت اجرة حقيقية لتعب شديد تعبتهُ تعبٍ لولا الغرض الذي كنت ارمي اليهِ والجزاء الذي كنت انتظرهُ لحقَّ لي ان اسميهُ استعبادًا

" ولم يطل عليَّ المطال حتى رآني رجل اسكتلندي رقيق القلب يعرف بعض اقاربي فرثى لحالي وكان عندهُ معمل غزل فاخذني الى معملهِ واستخدمني وقادًا للآلة البخارية فاستصعبت هذا العمل جدًّا لانني كنت اخشى ان تزيد الحرارة فتنشق الآلة وتنسف المعمل كلهُ نسفًا وانشغل بالي بهِ حتى كنت استيقظ ليلاً فارى نفسي جالسًا في فراشي افكر في مقياس الآلة البخارية

" وبعد سنة انتقلت الى مكتب التلغراف في بتسبرج ساعيًا لتوزيع الرسائل التلغرافية على اصحابها وكان عمري اربع عشرة سنة وكأني انتقلت الى عالم جديد

" والاولاد الذين يوزعون التلغرافات يطمعون في ان يصيروا من العمَّال الذين يدقون الاشارات التلغرافية على مفتاح الآلة ولذلك تراهم يبكّرون الى المكتب قبل العمال ويتمرَّنون على استعمال مفتاح التلغراف ويخاطب بعضهم بعضًا من مكتب الى آخر فحذوتُ حذوهم وتعلمتُ استعمال مفتاح التلغراف . وذات يوم كنت واقفًا امام الآلة قبل مجيء العمال فاخذ مفتاحها يضرب باشارة برقية من فيلادلفيا وهي خبر وفاة فتجاسرت واخذت الخبر بنفسي وسلمتهُ للكاتب قبل مجيء العامل ومن ثمَّ صار العمَّال يكلفونني لاقوم مقامهم اذا غابوا

"وكنت حادَّ السمع فتعلمتُ حالاً ان افهم الاشارات التلغرافية من مجرَّد سمعها وكان ذلك نادرًا جدًّا في اميركا لا يستطيعهُ الاَّ اثنان فقط في كل الولايات المتحدة على ما اظن وللحال انتبه رؤَساَئي اليَّ وجعلوني من العمال وقطعوا لي راتبًا حسبتهُ عظيمًا جدًّا وهو خمسة

جنيهات في الشهر او ستون جنيهاً في السنة . وتمَّ خط سكة الحديد الواصل الى بتسبرج وكان مديرهُ الفهامة توما سكوت يأتي الى مكتب التلغراف مراراً كثيرة ليكلم رئيسهُ المدير العام في التونا فعرفني . ثم لما مدَّت تلك السكة الحديدية العظيمة خطًّا تلغرافيًّا خاصًّا بها استخدمني كاتباً لهُ وعاملاً لتلغرافهِ فانتقلت من مصلحة التلغراف الى مصلحة سكة الحديد. وارتفع راتبي دفعةً واحدة من خمسة جنيهات في الشهر الى سبعة جنيهات فحسبت ذلك طفرة كبيرة غير منتظرة

“ وكان المستر سكوت اكرم الناس اخلاقاً واشدهم عطفاً عليَّ فقال لي ذات يوم ‘هل تستطيع ان تأتي بمئة جنيه لاشتري لك بها اسهماً’ . وللحال انتبهت فيَّ ملكة الكسب وقلت في نفسي انهُ ان كان رئيسي قد تنازل للمعاملة معي فقد فتحت العناية في وجهي باباً لا يليق بي سدهُ فقلت لهُ نعم يا مولاي اظن اني استطيع

“ فقال حسناً هات الدراهم فان رجلاً توفي وعندهُ عشرة اسهم من اسهم شركة ادمس اكسبرس اريد ان تشتريها

“ فوقعت في حيص بيص لاننا لم نكن نملك مئة جنيه ولكني كنت واثقاً بأن امي تدبر المال كيفما كان الحال وكنا قد ابتعنا بيتاً صغيراً نسكن فيهِ كان يساوي مئة وستين جنيهاً على ما اتذكر فاجتمعتُ بابي وامي تلك الليلة وتداولنا في الامر ملياً واخيراً قرَّ قرارنا على رهن بيتنا فرهناهُ واخذت مئة الجنيه ودفعتها ثمن العشرة الاسهم ولكن لم يعرف احد ان ابي وامي رهنا بيتهما لكي يعطيا ابنهما رأس مال. ولما وُزّع علينا الربح الشهري استغربناهُ كلنا لاننا لم نعتد قبض شيء غير اجرة عملنا

“ وحدث بعد مدة ان فلاَّحاً على وجههِ سمات الصدق والامانة دنا مني وانا راكب في سكة الحديد وقال لي بلغني انك مستخدم في شركة سكة الحديد واريد ان اريك شيئاً. واخرج من كيس صغير معهُ مثال مركبات النوم الاولى . هذا هو المستر ودرف مستنبط مركبات النوم التي ضمَّت بعدئذٍ الى مركبات بلمن . فلما وقع نظري عليهِ رأيت فائدتهُ حالاً وطلبت منهُ ان يأتي الى التونا في الاسبوع التالي

“ ولما رأى المستر سكوت هذا المثال ادرك فائدتهُ حالاً واتفق مع المخترع على تجربة مركبتين في سكة بنسلفانيا وعرض المستر ودرف سهماً عليَّ فاشتركت معهُ حالاً ولكنني لم اعلم من اين آتي بالمال المطلوب وكان ثمن المركبتين اقساطاً شهرية وخصني من القسط الاول ٤٤ جنيهاً ولم يكن معي منها شيء فحرتُ في امري ثم خطر ببالي ان استدين المال من البنك

الذي هناك فمضيت وقابلت مديرهُ وطلبت منهُ ان يدينني المال المطلوب وتعهَّدتُ ان اوفيهُ بدفع ثلاثة جنيهات كل شهر من اجرتي الشهرية فبشَّ في وجهي وقال لي لا بأس عليك يا ابني وقرضني المال المطلوب وحينئذٍ امضيت اول تحويل وانا مفتخر بنفسي حاسبٌ انني صرت من رجال الاشغال . نعم امضيت اول تحويل وقبلهُ البنك مني وهذا هو سرُّ افتخاري لان كل احد يستطيع ان يمضي تحويلاً ولكن ليس كل احد يستطيع ان يجد بنكاً يقبل تحويلهُ

" ووفر الربح من مركبات النوم فدفعنا منهُ الاقساط الباقية ومن هذه المركبات ربحت اول ربح كبير

" وبعد قليل جُعلتُ مديراً لفرع بتسبرج من فروع سكة الحديد . وكانت كباري (جسور) سكك الحديد من الخشب كلها ورأيت شركة بنسلفانيا تمتحن كبرياً من الحديد المسبوك فقام في نفسي ان كباري الخشب لا تصلح في المستقبل لسكك الحديد وللحال انشأت شركة في بتسبرج لعمل كباري الحديد . وكان سهمي منها ٢٥٠ جنيهاً ولم يكن هذا المال معي لكن البنك قرضني اياهُ وشرعنا في العمل فنجحنا نجاحاً عظيماً جدًّا وبنت شركتنا اول كبري حديد على نهر اوهايو وكان اتساعهُ ٣٠٠ قدم ثم بنت كباري كثيرة بعدهُ

" هذه بداءة انشائي لمعامل الحديد وكنت استعمل ما اربحهُ من المعمل الواحد في بناء معمل آخر وهلمَّ جرًّا "

هذا ما كتبهُ المستر كارنجي عن نفسهِ . وقد نقل المقتطف عنهُ في اوائل العام الماضي ان ثروتهُ تقدَّر الآن بنحو اربعين مليوناً من الجنيهات ودخلهُ السنوي منها يبلغ مليونين من الجنيهات اي يبلغ دخلهُ اليومي نحو ٥٤٨٠ جنيهاً . وهو على غناهُ المفرط وكبر سنهِ طلق المحيا انيس المحضر كانهُ شاب في السادسة عشرة . لم يورثهُ والداهُ شيئاً من المال ولكنهما اورثاهُ صحة جيدة واخلاقاً رضية وآداباً رائعة فتراهُ ممتلئاً صحة ونشاطاً لا يدخن ولا يسكر ولا يعمل عملاً يلام عليهِ . وهو فوق ذلك من الكتَّاب المعدودين حسن الانشاء منسجم العبارة واضح الحجة لا تُمَلُّ كتابتهُ ولو كانت في الاحصاء

واعظم ما امتاز بهِ كرمهُ الحاتمي على ما ينفع الناس فقد تصدَّق في السنوات العشرين الاخيرة باكثر من ستة ملايين من الجنيهات . وآخر شيءٍ تصدَّق بهِ مليون جنيه تدفع معاشات للعجزة من العمال في معاملهِ ومليونان ونصف مليون جنيه لانشاء مكاتب عمومية في كثير من المدن

نجيب صروف

جحيم الضواري

لا شيء يرعب الوحش الضاري كالنار اذا اشتعلت في ما يجاورهُ فترى الضاربين في القفار التي يخشون فتك ضواريها يضرمون النار حولهم فيتقيها الاسد والنمر والفهد وكل الضواري. واذا اشتعلت النار في غابة اوغوطة كما يحدث مراراً كثيرة في اميركا واستراليا نفر منها كل ما فيها من انواع الحيوان وداس بعضهُ بعضاً كانهُ أُصيب بجنة هذا ومجال الهرب متسع امامهُ فكيف اذا كان في حظيرة مسوَّرة لا منفذ لهُ منها او اذا كان في اقفاص تحيط بها قضبان الحديد لا غرو اذا جُنَّ حقيقة قبل ان يسلم انفاسهُ

حدث ذلك على صورة تقشعرُّ لها الابدان في الثامن من شهر فبراير الماضي في مدينة بلتيمور من الولايات المتحدة الاميركية في حظيرة الحيوانات المعروفة بحظيرة بوستوك وهي اكبر حظائر الضواري التي تنقل من مكان الى آخر لاجل الفرجة فهلك فيها خمسون اسداً وعشرة نمورة واحد عشر دبًّا وسبعة فهود وستة عشر ذئباً وخمسة وخمسون سعداناً وعشرون كلباً وستة نسور وثلاثة شواهين وسبعون طائراً من نوادر الطير وخمسون من الافاعي وغيرها من الزحافات ونعامتان وخمسة قناقر وغير ذلك من الضواري والكواسر والسوام اربع مئة حيوان او تزيد

كتب بعضهم وكان على مرأى من النار ان جهنم فغرت فاها لابتلاع هذه الوحوش فلاقت منيتها جزعة مضطربة وهي تزأر وتعوي وتصيح وتصرخ وتئن وتبكي وتتواثب وتتصارع ويمزق بعضها بعضاً

والحظيرة اكبر حظائر اميركا والظاهر ان سلكاً من اسلاك النور الكهربائي لم يكن مفصولاً عن السلك الموازي لهُ فحميا واحرقا خشب السقف فامتدت النار حالاً في الحظيرة كلها امتدادها في الهشيم لانها مبنية من الخشب تغطيها الواح رقيقة من الحديد. وحدث ذلك بعد خروج آخر واحد من المشاهدين بنحو خمس دقائق فلم يصب احد منهم بمكروه . لكن شاعت الاخبار حالاً ان الضواري هربت من الحظيرة وتفرقت في انحاء المدينة تفترس اهاليها فساد الرعب وعمَّ الاضطراب والحقيقة ان الضواري لاقت حتفها في الحظيرة والذي نجا منها بقي مذهولاً لا يستطيع هرباً . فان احد المدرّبين اخذ يفتح اقفال الاقفاص عساهُ ينجي بعضها وهو لا يدري لحمقهِ انها تفتك بالناس اذا خرجت بينهم فرآهُ المدير المستر بوستوك وشفاهُ من هذا الجنون وكان قد اخرج اسداً افريقياً ودبًّا قطبياً فلم يخطر لهما الاَّ ان يتواثبا ويتصارعا ولو

عقلا لتيسَّر لهما الفرار واوقعا الرعب في المدينة كلها فزأَر الاسد ووثب على الدب ووقف الدب على رجليهِ والتقاهُ بين ذراعيهِ وضمهُ الى صدرهِ وفغر الاسد فاهُ وقبض على عنق الدب ورفع الدب احدي قدميهِ وضربهُ بمخالبها ليبقر بطنهُ وارتمى الاثنان على الارض وجعلا يتمرَّغان ويجأَران ويزأَران وقبل ان يتم لاحدهما الغلب على الآخر مدَّت النار لسانها والتهمتهما .

وخرج غيرهما من الضواري وغير الضواري لكنها وقفت حيرى الى ان وصلت اليها النار والتهمتها

وكان بين الاسود اسد كبير اسمهُ بروتس وهو الذي ربتهُ السيدة بينكا وكانت تدخل رأسها في فيهِ فلما وصل اللهب اليهِ وقف على قدميهِ وفغر فاهُ كما يفغرهُ حينما كانت تدخل رأسها فيهِ وجعل يزأَر باعلى صوتهِ كانهُ يناديها لتاتي لنجدتهِ ولما رأَى ان لا منجد لهُ ولا معين جعل يهرُّ كالكلب واخيرًا ضاقت بهِ الدنيا فوثب على قضبان الحديد التي حول قفصهِ وحاول كسرها فلواها ثم حاول نهشها بانيابهِ والدم يتدفَّق من فيهِ الى ان اندلع لسان النار اليهِ واخمد انفاسهُ

ومنها الاسد المسمَّى ولس وهو الذي افلت مرةً في مدينة نيو يورك ودخل اسطبلاً وافترس فرسًا وبقي هناك اياماً قبل ان تمكن اصحابهُ من القبض عليهِ وقد افترس خمسة رجال من حين وقع في قبضة الانسان ولا يعلم الاَّ الله كم افترس قبل ذلك اما الآن فشوتهُ النار شيًّا

وكان بين الاسود لبوة افريقية لها شبلان فحاولت انقاذهما من النار جهدها ولما لم ترَ لها سبيلاً ضمتهما الى صدرها وغطتهما بذراعيها . شفقة الوالدة ولو من الضواري ووُجدت عظامها مع عظامهما رميمًا

ومن الضواري فهد اميركي اسود اسمهُ خرطوش وفهدة هندية مخططة اسمها صافو كان بينهما حاجز سخيف من الخشب فلما اضطرمت النار وثبت صافو على الحاجز ومزقتهُ كانهُ ورق ودخلت عرين خرطوش فظن انها هي سبب النار فالتقاها بانيابهِ ومخالبهِ واشتدَّ بينهما الصراع وعلا زئيرهما حتى سمع فوق زفير النار عن بُعْد شاسع . وبلغتهما النيران وهما متعانقان عناق الموت

وخرجت سبعة اسود من عرّيسها الى الساحة الوسطى وجعلت تثب لعلها تحلّق فوق الحاجز الذي يحيط بها وارتفاعهُ عشرون قدمًا فلا تبلغ اعلاهُ بل تقع في النيران ثم تثب ثانية وهي تزأَر زئيرًا يصمُّ الآذان الى ان هلكت كلها

ووصلت النار الى الجاموس الافريقي وهو ضخم الجثة كثير الشحم واللحم فشوتهُ شيًا ووُجد ولسانهُ مندلع من فيهِ كأَنهُ راية اليأْس

وكسَّرت النار الالواح الزجاج التي على وجه مغاير الافاعي فانهضتها الحرارة وزادت نشاطها فقامت البوّاء الافريقية تسعى في دار المشهد سعيًا حثيثًا تطلب النجاة ولا تجدها وتبعها التنين

الهندي وجاءت وراءهما ذوات الاجراس والاحناش والاصلال لكن النار ابطلت سعيها وشوتها الواحدة بعد الاخرى فتلوَّت ويبست واشتعلت . وصبرت البواءُ على النار زماناً طويلاً الى ان عيل صبرها وسلَّمت للاقدار . ويقال ان بعض السوام انتحرت انتحاراً لما لم ترَ لها من النار مناصاً

وكان بين الاسود اسد اسمهُ برنس وهو من اكبر الاسود التي وقعت في اسر الانسان . والظاهر انهُ رأى من اول الامر ان لا مناص لهُ فلم يقلق ولا حاول الهرب بل ربض في عرينهِ واضعاً كفيهِ على لبوتهِ كأَنهُ يحاول وقايتها واقاما على ذلك الى ان خمدت انفاسهما . وكان بينها ثلاثة اسود اخرى عاشت بعضها مع بعض سنين كثيرة على الصفاء فلما دنت النار منها غلب غيظها على عقلها فتواثبت وتصارعت ومزَّق بعضها بعضاً قبل ان اكتنفتها النيران .

وكان في قفص ثمانية ادباب قطبية وصلت الى الحظيرة منذ ثلاثة اسابيع فقط من الاصقاع المتجمدة حيث كانت تلعب وتمرح على الجمد فراعتها النار وحرارتها وحاولت تكسير القفص الذي هي فيهِ لكن النار اراحتها من الجهاد حالاً

وقابل بعضهم مدام بينكا مربية الاسد بروتس الذي كانت تدخل رأسها في فيهِ وسألها عما تريد ان تفعل فاجابتهُ والدموع ملءُ عينيها لا ادري ولا انا افكرِ في ذلك الآن ولكنني ما عدت ادخل عرين اسد في حياتي ولا عدت ارى اسداً وقد كان عندي هنا اربعة اسود كبيرة وثلاثة اشبال والاشبال ولدت في هذه البلاد واما الاسود فلم يولد منها في الاسر الاَّ واحد والثلاثة الباقية أُتي بها من جنوبي افريقية وانا التي ذللتها وعلمتها وكان في الحظيرة اسود اخرى من بلاد النوبة ولكنني لم اكن التفت اليها . وقد مضى على الاسود الاربعة سبع سنوات وهي معي واراني كنت متعلقة بكل واحد منها . ولما اردت ادخالها الى اقفاصها بعد المشهد الاخير ابت ان تطيع امري حتى اضطررت ان الجأَ الى الشدَّة ثم لما دخلتْ ودخلتُ معها جعلتْ تحاول منعي من الخروج بحركاتها وكأَنها كانت تتوسَّل اليَّ بعينيها حتى ابقى معها ودنت مني لبوة كانت شديدة النفار وسمحت لي ان اضع يدي حول عنقها ولم تكن تسمح لي بذلك قبلاً ولا ادري الآن هل شمَّت النار في بداءة اشتعالها فخافت وجعلت تتوسَّل اليَّ لابقى معها او ادركت ما ستصير اليهِ بقوةٍ في نفسها لا ندري بها . وقد اثر فيَّ ما اظهرتهُ لي من التودُّد واخبرت زوجي بهِ قبلما عرفنا باشتعال النار . ولم اكد البس ثيابي لاخرج الى السوق حتى سمعنا ان النار شبت في المشهد ولم يكد زوجي ينجو منها

وتمكن رجال المشهد من انقاذ بعض الحيوانات الكبيرة فانقذوا فيلة وحمارين وثوراً وبعض الجمال . وما بقي من الحيوانات ذهب كلهُ فريسة النار

الاحياء القديمة

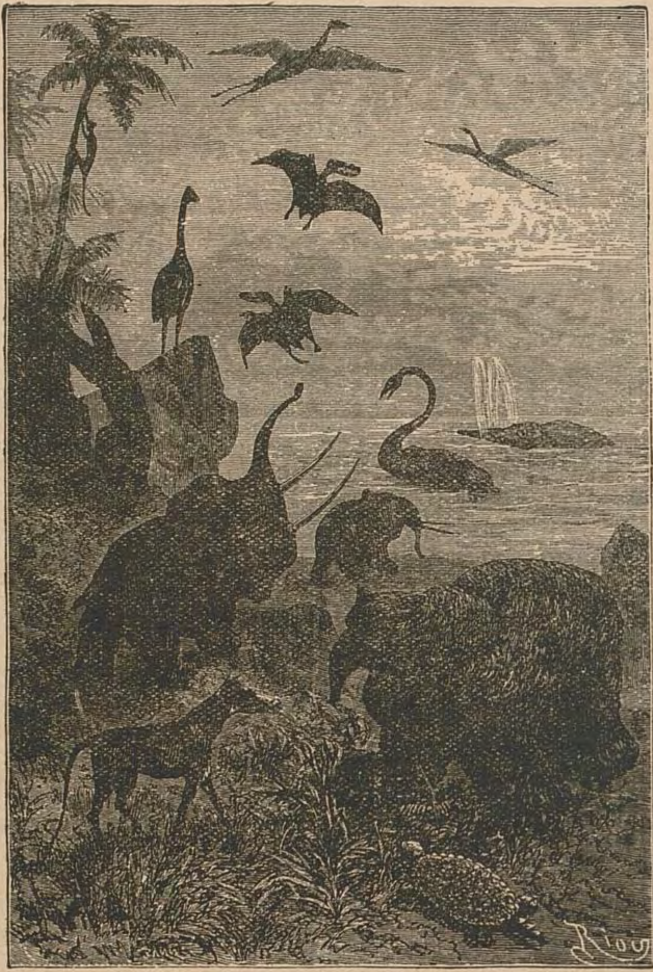

لعلماء الطبيعة ابحاث دقيقة ومشاحنات كثيرة قصْد تحديد الزمن الذي ظهر فيهِ الحيوان على وجه البسيطة . وهم لا يطمعون ان يحددوهُ بالايام والسنين ولا ان يثبتوا ما تعلَّمناهُ ونحن اطفال من ان الارض وما فيها من حيوان ونبات وُجدت في ستة ايام من ايامنا منذ نحو ستة آلاف سنة . فان تاريخ فراعنة مصر يمتدُّ الى اكثر من ذلك والحجارة التي بنوا بها اهرامهم منذ اكثر من ستة آلاف عام مؤلفة من اصداف وبقايا حيوانات عاشت في الارض وماتت

قبل ان وُجد الانسان فيها بالوف والوف الوف من السنين

ومهما اختلفت اقوال العلماء في عمر الارض وتحديد الزمن الذي وجد فيهِ الحيوان لا تختلف في ان الارض وُجدت وصارت صالحة لسكناهُ منذ الوف والوف الوف من السنين حتى ان اقلَّ تقدير يجعل عمرها من حين بردت وصارت صالحة لمعيشتهِ عشرين مليونًا من السنين . وسواءٌ ثبتَ ذلك على تمادي الايام او كُشفت ادلة جديدة تنفيهِ وتثبت ان زمن وجود الحيوان على الارض قريب جدًّا لا يتجاوز عشرين الف سنة او حواليها فالادلَّة عديدة على انهُ كان في الارض حيوانات كثيرة انقرضت منها الآن وصارت اثرًا بعد عين وكان فيها حيوانات اخرى معاصرة للحيوانات التي انقرضت ولم يزل نوعها في الارض حتى الآن

انظر الى الصورة الوهميَّة التي في صدر هذه المقالة فقد جمع فيها المصور حيوانات انقرضت عن وجه البسيطة منذ عهد بعيد جدًّا وحيوانات اخرى انقرضت منذ عهد قريب وحيوانات تكاد تنقرض وحيوانات قد لا تنقرض الاَّ بعد عصور كثيرة . ففي اعلاها طائران في شكل الخفاش من النوع الذي وصفهُ الاستاذ مارش الاميركي سنة ١٨٨٢ من الاحافير القديمة التي وجدت في باڤاريا سنة ١٨٧٣ وقال ان ذنبهُ ينتهي بملوَق عريض كالمجداف . وتحتهما طائران آخران من نوع الزحافات المجنحة وهما كبيرا الرأس والفم والاسنان كانهما من التماسيح . في كل يد من ايديهما اصبع طويلة ينتشر بينها وبين ذنب الحيوان غشاءٌ جلدي كغشاء الخفاش ليطير بهِ . وعظام هذه الحيوانات مجوفة مثل عظام الطير ليسهل عليها الطيران

وعلى صخرٍ الى اليسار من هذه الوحوش الطائرة طائر حقيقي كالنعامة لعلهُ من النوع المسنن المنقار الذي وصفهُ الاستاذ مارش ايضًا وقال ان ارتفاعهُ خمس اقدام الى ست . ولا شبهة في ان اجتماع الاسنان والاجنحة في هذه الحيوانات دعت اليهِ شدَّة الزحام كأَن الحيوانات كثرت في بلاد ضيقة تحيط بها البحار وتعذَّر على بعضها السعي على الاقدام او الهرب من الاعداء عدوًا او سباحة فلجأَت الى الانتقال في الهواء ولعلها بدأَت تسبح وتثب في الماء كالسمك الطيَّار او تقفز من شجرة الى أُخرى كالسناجيب الطيَّارة فتولَّد لها غشاءٌ بين ايديها وابدانها اتَّسع رويدًا رويدًا بالاستعمال والوراثة وبقاء الاصلح حتى صار كافيًا لحملها في الهواء

وتحت الوحوش الطائرة بحر خضمٌّ يجري فيهِ حوت يقذف الماء من خياشيمهِ كما تقذفهُ الحيتان في هذه الايام اي انهُ يفغر فاهُ ويعبُّ الماء وما فيهِ من السمك ثم يطبقهُ ويعصر الماء فيخرج من ثقوبهِ ويبقى السمك فيهِ . والحوت من الحيوانات القديمة التي لم تنقرض من البحار حتى الآن وقد لا تنقرض منها الاَّ بعد زمن طويل جدًّا . والى جانبهِ الحيوان المعروف

بالبليوساوروس وهو يمتاز بصغر رأْسهِ وطول عنقهِ واتساع زعانفهِ التي يستعملها كالمجاذيف في الماء وقد عاش هذا الحيوان في البحار القديمة القليلة الغور وانقرض في العصور الجيولوجية

والى يسار الصورة شجرة عالية كالنارجيل وعلى ساقها قرد يصعد عليها وآثار القرود اقدم في الارض من آثار الانسان ولكنها غير شديدة التوغل في القدم فابعد ما وُجدت فيهِ عصر الميوسين والبليوسين ولم تزل القرود كثيرة في الارض ويبعد ان تنقرض منها قريبًا وفوق الافيال حيوان قائم على رجليهِ وعجزهِ ليتناول اغصان الشجرة ولعلهُ من النوع المسمى مغاثاريوم وهو اكبر من الكركدن . وُجد هيكل من هياكلهِ طولهُ ١٨ قدمًا وقصبة ساقهِ اغلظ من قصبة ساق الفيل ثلاثة اضعاف وعظام ذنبهِ غليظة متينة حتى يستند عليهِ اذا اراد النهوض وهو من الحيوانات التي بقيت الى الدور الرباعي ثم انقرضت فيهِ

والافيال امرها معروف والمرسومة ههنا اكثرها من الافيال القديمة الكبيرة التي انقرضت في عصر الانسان ولم تزل آثار بعضها في سيبيريا . والحيوان الذي تحت الشمالي منها من اقدم ذوات الثدي من الحيوانات المنقرضة وهو اصل الكركدن والفرس والجمل والخنزير

هذه بعض طوائف الحيوان التي نشأَت في الارض وعاشت فيها ادهارًا كثيرة تسرح وتمرح في برها وبحرها وهوائها ومائها قبل ان وجد الانسان فيها

المشد (الكرسه) ومضارهُ

تتخذ المرأة أجهزة او البسة تستعين بها على الظهور بمظهر جميل يختلف باختلاف العادات والزي والزمان . ومنها شيءٌ تتخذهُ لقدها ليس من انواع الالبسة في شيءٍ انما هو الى الآلات اقرب منهُ الى الكسوة . وهو المشد اي الكرسه المعروف عندنا على ما صار عليهِ اكثر انواعهِ في عهدنا هذا . فهو آلة تعدّل القد بل هو ضرب من الصدار او النطاق ذو شكل معلوم يتخذ لصنعهِ من المواد ما يجمع بين الصلابة والمرونة فيكون منهُ للخصر بل لما توسط من قامة الانسان باسرهِ قالب ذو شكل معلوم تتطاول النساء الى التشكل بهِ لانهُ يهيئ لبعض القدود اشكالاً ليست على شيءٍ من الشبه للقد الذي يكتنفهُ . فالمشدُّ عند الغربيين ومن اخذ اخذهم من الشرقيين في جملة ما يلبسهُ النساءُ مما لا يقي من برد او يدرأُ لظى الحر وليس مما يتخذ للتستر انما هو على ما سبق القول اقرب الى الآلات منهُ الى الكسوة يُغيّر بهِ ظاهر البدن ويكيّف القد اشكالاً وهو عبارة عن قدد تقد من عظم الحوت (البلين) او تصنع من الفولاذ مسطحةً

دقيقة مستطيلة تجمع على نمط معلوم بين شقتين من الكتان محكمتي النسج شديدتين متينتين وقد قدّر كلٌّ منهما وفصل على شكل معين فيجعل قطعة منهُ الى كل من جانبي البدن بين الورك والابط و يصل بين القطعتين من جهة الظهر ببريم او شريط اذا شُدَّ طرفاهُ قرَّب بين القطعتين وتتصل القطعتان مما يلي الصدر بازرار او أبازيم او ما شاكلها فتبالغ المرأة في شد الشريط او تعتدل فيهِ طبقاً لما تطلب وعلى ما تريد

وللنساء اهواءٌ متباينة في ما يتخذن من المشدات فمنهن من ترضى بالقطن نسيجاً لهُ اذا تيسَّر لها ذلك ومنهن من تطلب الكتان ومنهن من تأنف الكتان تأنُّقاً او ترفعاً ولا ترضى لهُ سوى الديباج بديلاً او الاطلس او المتموّج من الحرير تزينهُ بانواع الزركشة والزخارف من مخرَّم ومطرَّز أو تؤثر ما كان نسيجهُ مسترخياً كبير الحلق عليهِ وشيٌ اشكالاً بصور النبات او ضروب من العقل او الترقيم او التدبيج او خليط من كل ذلك . وقد يبلغ ببعضهن التأنق ان يتطلبنَ الديبغ من الماعز بدلاً من النسيج طلباً للمرونة واللين

اما اصل المشد (الكرسه) فالمعروف عنهُ انهُ فرنسوي واسمهُ عندهم عبارة عن تصغير اسم الجسم في لغتهم . ولا دليل من النقل يدل على اول العهد بهِ دلالةً ثابتة . ومما يُعرف عنهُ أنهُ كان لاول امرهِ شقة من النسيج عليها صفائح خشبية يُشد بها الوسط ثم كبروهُ فاشتملوا بهِ الصدر والظهر والوركين وجعلوا لهُ في اعلاهُ سبيبتين من الكتان او غيرهِ من الانسجة يلقونهما على الكتفين فتحملانهِ ولهُ في صدرهِ بريم او شريط يشدهُ. فما لبثوا أن نبذوا صفائح الخشب وهم يغيرون ويبدّلون فتدرَّجوا فيها الى القدد يقدّونها من عظم الحوت ثم اتخذوها من الفولاذ . ثم نقلوا الشريط في القرن السابع عشر للميلاد من صدر المشد الى ظهرهِ . واتخذوا لهُ في ذلك العهد ايضاً قدداً صلبةً من الفولاذ او غيرهِ يجعلون منها اثنتين الى ما يلي صدر البدن طلباً للصلابة والقوة فيهِ ثم تبين لهم ان القدد الصلبة مما يتعذر على النساء احتمالهُ والثبات تحت ضغطهِ ورأوا ايضاً ان ما على الاكتاف من سبائبهِ جعلهُ عليها وقراً يهدُّ قواها . فاضطروا الى اتخاذ القدد الصلبة صغيرة ما امكن وضربوا عن سبائب الاكتاف صفحاً الى ان كان لهم مثل ما نراهُ الآن من انواع المشد

هذا ولم يغفل المتقدمون امر المشد وما يترتب من الاخطار العظيمة على الافراط في الاعتماد عليهِ وفي شد الوسط بهِ . وممن شدَّد النكير عليهن في هذا المعنى من الفلاسفة وذوي الآراء الثقات مونتاني وجان جاك روسو وكروفيلي و بوتيه وغيرهم. والحق يقال ان مضار المشد والافراط في شد الوسط بهِ خصوصاً مما يقضي علينا بتدبر امرهِ والاعتدال في الشد المذكور

ايَّ اعتدال . فمن ذلك ما يترتب عليهِ من الضرر البليغ لذوي بعض العلل ولمن كان لهُ في مزاجهِ وبنيتهِ ما يسهل سبيلها اليهِ من مثل التدرُّن الرئوي وتمدُّد القلب وما شاكلهما . ثم ان من النساء نساء يبالغن في شد خصورهنَّ بمشدنا الحديث بل يشددن ما تحت الخصر مع الاضلاع والصدر والظهر فيؤَثر ضغطهُ في اسفل الصدر ويجهد اعضاء التنفس التي تعرف بالجهاز التنفسي بما يصيبها من الزيادة والسرعة في عملها . ثم ان ضغطهُ على المعدة يقف في سبيل حركتها التي تمتد بها الى الجهة الوحشية من البدن (اي الى الامام) وهي حركة يتطلبها انتظام الهضم ضرورة . فاذا امتنعت على المعدة كان امتناعها عثرةً في سبيل الهضم

ولقد شاهدنا في وليمة غادة من صحيحات الجسم لها من السمانة نصيب وافر وقد دفعتها السمانة الى التصلب في شدّ وسطها طلبًا للتخصُّر ففازت ببعض ما تريد وجمعت علاوة على ما تريد معظم سمانتها الى ما يلي العنق والكتفين والوركين . فلم تلبث ان ضاق صدرها واضطربت بجملتها تطلب القيام منتصبة وقد اعياها الجلوس لوقوف المشد في سبيل معدتها فاوقف بعض حركاتها فاذا وقفت أُتيح لها ان ترفع بعض الضغط عن معدتها او ان تخفضهُ فتتحرك حركة تزيل عنها ما استحوذ عليها من الضنك او بعضهُ . ولكل ذلك آثار من الضرر في الاعضاء البدنية تعدُّ السلامة من عواقبها غنيمة

اما فعلهُ في الكبد فهو انهُ يشوهها تشويهًا لا يرجى لها منهُ شفاء . فهو يقف في سبيل عملها ويمنعها من القيام بما فرض عليها من واجب الخدمة للبدن وتهبط بجملتها عن موقعها الطبيعي الى موقع تحتهُ مما يشغلهُ غيرها من الاعضاء فتدفعها ايضًا ويضغط بعضها البعض الآخر وتهبط الامعاء برمتها فتضغط على ما في الحوض من الاعضاء واخصها الرحم فلا تلبث مع استمرار الضغط عليها ان تنحرف الى غير مركزها او تهبط وكل ذلك مما يترتب عليهِ من العلل في الحمل والولادة ما تتعذَّر ملافاتهُ احيانًا . ومثل ذلك ما ينشأ عن الضغط على المبيضين وعواقبهُ وخيمة طالما بدت وقت الطمث

ثم ان من النساء من تألف لبس المشد والمبالغة في شد وسطها بهِ فتستزيد من الشد اضطرارًا كل يوم ولو اصابها من انحراف المزاج ما يتواتر عليها انواعًا من مثل آلام المعدة والآلام في اعصاب البطن في ما بين الصدر والحوض واسترخت اعضاؤُها وقواها . ولا يلبث ان يكون من عواقب شدها وضغطهِ ومثابرتها على الاستزادة منهُ سبب سابق يعقبهُ ما سبقت الاشارة اليهِ من العلل والآفات وتشويهِ الاعضاء وتقصيرها عن القيام بوظائفها قيامًا يضمن صحة البدن ويصونها

والآن نقف عند الاثدي وقفة المتبصّر الحكيم نتأملها وننظر في آثار المشد فيها ونفكر في ما يصيبها من آفاتهِ وما يعرّضها لهُ من الاخطار فمن المقرر ان سطح الثديين الظاهر (تحت طبقات المشد والكسوة على كل حال) اذا ضغط واذا رُفعا بل دُفعا قسرًا الي ما فوقهما استرخيا وتهدَّلا على مثل ما يحل بهما اذا تدلّيا مطاوعة لثقلهما ولم يكن لهما ما يسندهما. ثم ان الجذب والضغط اذا وقعا بالثدي هزل وانحل فاضمحل او كاد يضمحل لذلك كان المشد آفة على الاثدي ثم اذا اجتمعت اليهِ بعض الاسباب مما لا محل لايرادهِ هنا قصرت المرأة عن الارضاع اذا اضطرت اليهِ او رغبت فيهِ وطالما قصرت النساء من ذوات اليسر او الثروة الطائلة عن ارضاع فلذات اكبادهن للسبب المذكور

واختم بحثي هذا الوجيز بايراد ما ثبت او كاد يثبتهُ الاختبار من النصح الواجب لمن يشد اهم اجزاء البدن فاقول. يحسن بالفتاة ان تمتنع عن شد وسطها الى ان تتجاوز سن البلوغ واذا رغبت في المشد تسند بهِ بعض اعضائها فليكن حجمهُ صغيرًا ما امكن فتختار منهُ ما كان عبارة من نطاق او حزام عريض لا ما كان كالدرع من الحديد وافضلهُ ما حاكى في اشكالهِ وتركيبهِ النطاقات او الاحزمة التي اتخذها نساء اليونان ايام باركليس فهي لا تستمرُّ على ضغط الاعضاء البدنية

واعود فاقول ان صحة الابدان ووقايتها وحفظها تقتضي الاقتصار من المشدات على ما كان ليّنًا مرنًا يناسب اعضاء البدن وتقطيعها كل المناسبة من حيث الشكل والحجم ولا يتجاوز الحد ارتفاعًا ولا يصيب مما اسفل الخصر الاَّ الجزء اليسير ويشدُّ شدًّا غاية في الاعتدال فيكون منهُ للفتاة ما تعدّل بهِ قدّها تعديلاً اذا حسبت ان لا بدَّ لها منهُ وما تتخصر بهِ بعض التخصر متى بلغت سن الرشد او البلوغ ويكون منهُ لمن استحوذت السمانة عليها منهنَّ ما يقيها بعض ما تطلب من سند بعض اعضائها واشتمالها به ولا يشوّهها او يوآذيها

الدكتور
توفيق صوصه

ضرر الفلانليت

الفلانلت نسيج قطني يشبه الفلانلاَّ في قلة اندماجهِ تخاط منهُ قمصان النوم للصغار لانهُ لين يدفئُ البدن. لكنهُ سريع الاشتعال اذا اخذت فيهِ النار اشتعل كلهُ سريعًا بلهب ازرق كانهُ السبيرتو حتى يتعذَّر اطفاؤُهُ. وقد تكرَّرت حوادث الاطفال الذين اشتعلت قمصانهم على هذه الصورة فاوردتهم حتفهم. فيجب ان يتقي الذين يلبسون الفلانلت النار ولو كانوا بعيدين عنها لانها اذا اخذت في ثيابهم لم يقهم منها واقٍ

الرياضة للرجال والنساء

وهي خطبة خطبتها حضرة الفاضلة الدكتور انيسة صيبعة في النادي الشرقي في ٨ مارس

سيداتي الفاضلات وسادتي الكرام

لا شك ان الخطابة والكلام ارتجالاً من المواهب الخصوصية التي تحلى بها البعض فقط وساعدتهم الاحوال على اظهارها في الجمعيات العلمية والمنتديات الادبية والمحافل السياسية . ولذلك لا ينتظر من كل من رقي منبرًا ان يأتي بآيات بينات ولا ان يصفق لهُ السامعون استحسانًا . ومعرفتي هذه هي التي جعلتني في احتفالٍ سابق لهذا النادي ان لا اجيب طلب سعادة رئيسهِ وبعض اعضائهِ الكرام حين طلبوا مني الكلام في هذا الموقف الخطير . على ان اللسان لابد وان ينشط من عقالهِ عند ذكر الامور التي تستحق المديح والثناء الجميل . فالارض التي وهبها سعادة سكاكيني باشا لتعد للالعاب الرياضية وحاجتنا الكبرى الى ترويض اجسامنا جعلتاني انسى اهمالي للغتي العربية مدة سنوات متوالية في البلاد الاوربية وان اقدم على التشرف بالمثول امامكم الآن معتمدةً على كرم اخلاقكم فاقول

ان الرياضة الجسدية المعتدلة هي التي تحسن الدورة الدموية المتوقف عليها غذاء انسجة الجسم الانساني والمرء مدفوع بحكم الطبيعة اليها لانهُ مأمور بالسعي وراء الكسب والارتزاق كما هو مشاهد في اهل البداوة الذين يطوون النجاد والوهاد وراء مواشيهم ولكن لما امتدت الحضارة ايسر بعض الناس وتسهلت لهم وسائط الترف والرفاهية فقللوا من الرياضة بالانتقال من مكان الى مكان واستبدلوها مع الزمن بالعاب شتى كما يشهد تاريخ اليونان والرومان وغيرهم من الامم المتقدمة وجعلوا للذي يمتاز عن غيرهِ جوائز ثمينة واكاليل ظفر يكللون بها هامة المنتصر

ولست بمطيلة الشرح في هذا الموضوع اذ هو تحصيل حاصل فلنأتِ الى حالتنا الحاضرة وفيها ما يغنينا الآن عن الالتفات الى الماضي والتشوف الى معرفة المستقبل

فالرياضة يجب ان تكون في المحلات الفسيحة الارجاء الواسعة المجال حيث الهواء نقي جاف ليحصل المرء على الفائدة المطلوبة اذ اول تأثير للرياضة تحريك الدم في الخلايا فيحمل ما يجد فيها من الفضلات الى الجانب الايمن من القلب حيث توصلهُ الشرايين الرئوية الى الرئتين فيطهر بفعل الاكسجين الذي تستنشقهُ مع الهواء ويرجع الى الجانب الايسر من القلب نقيًا

خاليًا من الشوائب صالحًا لان تحملهُ الشرايين الى سائر اعضاء الجسم وانسجتهِ ليقوم بغذائها

وقلة الحركة تأتي بضد ما ذكر اذ يبقى الدم الفاسد في محلهِ فتتغذى الانسجة من هذا الغذاء غير الملائم وتضعف من يوم الى آخر ويصح ان يقال في الدم ما قيل في الماء "وبمكث الماء يبقى آسنًا". وهذا هو السبب في ما نشاهدهُ من الفرق العظيم بين سكان الجبال والبراري واهل المدن اجمالاً . فالاولون تبدو على محياهم دلائل الصحة والعافية وكل حركة يأتونها يرى من خلالها القوة والنشاط بيد ان الآخرين تقعدهم اشغالهم التجارية او الكتابية او غيرها عن الحركة وتبدو عليهم علامات الكبر قبل اولئك . ولقد ادرك اهل الحضارة هذا الامر فصاروا يتسابقون الى الالعاب الرياضية ويباهون بها حتى الاغنياء . ومن درس عيشة الانكليز وعوائدهم عرف ان سرَّ تقدمهم ومقدرتهم على القيام باعظم الاعمال اساسهُ ما يشبُّون عليهِ من العيشة الخشنة فلا تكاد تشرق شمس في بلادهم حتى تروهم يصعدون الجبال ويهبطون الى الاودية ويزحفون على الثلج ويكثرون من الرياضة حتى التي تلقي حياتهم في الخطر احيانًا . وهذه التربية هي التي تدفع البعض من اغنيائهم حين يملكون قياد انفسهم ان يهجروا الاهل والاوطان ويقصدوا اواسط افريقية او الهند لصيد الوحوش الضارية كالاسد والضبع والفيل وما شاكل ذلك

مهلاً سيداتي وسادتي لا تقولوا انني تطرفت بذكر انواع الرياضة فما ذكرتهُ عن الانكليز ضروري لكل فرد منهم لحفظ كيانهم كأُمة عظيمة اما نحن فلا حاجة بنا كافراد الآن الاَّ الى الرياضة المعتدلة اللازمة لحفظ قوانا وتجديدها وتحسين صحتنا وهي موضوع الكلام

وهذه الرياضة يجب ان يبتدئ الطفل بها وهو رضيع وذلك ان تلاحظ الوالدة سهولة حركاتهِ وتعريضهُ للشمس والهواء وتغيير هواء الغرفة التي ينام فيها كلما اقتضت الحاجة وان لا يضغط عضو من اعضائهِ مطلقًا بل يترك ينمو نموهُ الطبيعي ومتى بلغ سن الصبا وأُرسل الى المدارس يجب على معلميهِ ان يحببوا اليهِ الرياضة ويجبروهُ عليها باحسن الوسائط ويطرحوا عنهم الوهم القديم بالافتخار بالاولاد الذين لا يهتمون الاَّ بكتبهم وواجباتهم المدرسية لان هذه الامور لا تثمر في الولد حين يشب الاَّ الخمول ومعها يكون عقل المرء محدودًا مهما كان مجتهدًا وجسمهُ نحيلاً مهما كانت بنيتهُ الاصلية قوية . ولا اظن اني أُخطئ اذا قلت ان الحركة في الولد دليل على قوى حيوية زائدة يصرفها في الالعاب الرياضية فتعينهُ على تجديد قواهُ العقلية . وبالطبع ان من شبَّ على خلق شاب عليهِ فحين يخرج التلامذة من مدارسهم ويذهب كل في جهة لعمل الاعمال المختلفة فالذين اعتادوا منهم الرياضة يحافظون عليها

والشغل من حيث هو رياضة. فالنجار والحداد مثلاً تظهر نتيجة صنعتهما على ايديهما القوية الكبيرة والفلاّح الذي يضرب بالفاس تظهر النتيجة عليهِ بغلظ عضلات ساعديهِ والعسكري الذي يعتاد الوقوف مستقيماً باتساع صدرهِ واما الكاتب فاذا اقتصر على صناعتهِ مستخدماً كان او تاجراً او سياسيًّا او عالمًا فقد كتبت علامات الضعف على وجههِ وعضلاتهِ اجمالاً . ولذلك كان من الواجب ان لا يكتفي احد بنوع واحد من الرياضة التي تعود بالنفع على عضوٍ خاص من اعضاء الجسم بل ان يستعمل انواعها المختلفة ليشرك بنفعها الصدر واليدين والرجلين وبقية الاعضاء . ولقد احسنت اغلب المدارس فعلاً وخصوصاً في اوربا باختيارها الطرق المؤدية الى هذه الغاية . ولو اردت تعداد الالعاب المختلفة المصطلح عليها لضاق بي المقام ولذلك ارجع الى الارض التي وهبها سعادة الرئيس فهل يسهل ايجاد وسائط عديدة تقوم بالغاية المقصودة فيمكن ان يعد بها محل للعب " اللون تنس " وآخر " للكروكاه " وآخر للاخشاب المتوازية المقوية للسواعد والموسعة للصدر وغير ذلك من الالعاب التي يصادق عليها حضرات الاعضاء الكرام والتي اجمع الناس على حسن نتائجها الصحية .

وهنا اقول انهُ لا يبرح من الذهن ان حاجة الاجسام الى الرياضة تختلف درجتها باختلاف قوة اصحابها فالشاب القوي البنية مثلاً لا يقدر ان يجاريهُ الضعيف ولا الفتاة التي ربيت على الرفاهة وقلة الحركة . على انني استدرك فاقول ان الاجتماع في محل عمومي لهذه الغاية اذا كان مقروناً بالارادة والعزم على العمل فلا بدَّ وان يدعو الجميع من نساء ورجال واولاد الى الاشتراك بهذه الالعاب والانتفاع منها جسديًّا عدا عن كون الاجتماع نفسهِ ينتج فوائد ادبية كثيرة اكتفي بالتلميح اليها

قلت ما قلت واخشى ان تظنوا اني موجهة الكلام الى السادة فقط دون السيدات مع اني اعتقد ان الرياضة ألزم مبدئيًّا لهنَّ مما هي للرجال . فرغماً عن زمن مضى وكان بعضهنَّ يعتقد فيهِ انهنَّ ارفع من ان يأتينَ بحركة او عملٍ ما نرى كثيرات قد تركنَ هذه الاوهام وقمنَ يجارينَ الرجال في ميدان الاعمال ويعملنَ ما في وسعهنَّ لتقوية اجسامهنَّ مدركات ان عليهنَّ تتوقف سعادة الاطفال في الحياة من حيث الصحة وعالمات " ان العقل السليم في الجسم السليم " فلم يعدنَ يكتفين بملازمة البيوت وركوب العربات والاقلال من الحركة بل شاركنَ الرجال في اكثر انواع الرياضة ونعم ما فعلنَ

وعلى ذكر الرياضة اذكر ان الثياب اللازمة لها يجب ان تكون واسعة لتسهل معها الحركة وبالتالي التنفس الذي عليهِ يتوقف الانتفاع من الرياضة وليدور الدم الدورة الطبيعية من غير ان

يلقى ضاغطاً او عثرة في سبيلهِ . ومن زار معرض باريس في السنة الفائتة او احد المتاحف الشهيرة وعاين التماثيل القديمة كتمثال الزهرة الهة الجمال او ديانا الهة الصيد او غيرهما ورأى تناسب اعضائها علم بداهةً ان ذلك لا يتأتى الاَّ عن اعتياد المعيشة القانونية الصحية واعطاء الجسم الحرية الرياضية الكافية

وقبل الختام ألتمس عذرًا من حضرات السادة الافاضل واطلب منهم ان يعيروني اذناً صاغية فيذكروا وهم يهتمون باصلاح هذه الارض واعدادها ان فريقاً كبيرًا يسمونهُ هم الجنس اللطيف في حاجة الى هذه الارض مثلهم فلا يدعهم نشاطهم يتصرفون في هذه المسألة بما هو مشهور عن الجنس النشيط من حب الاثرة والاستقلال وان لم يرشقوني بالسنة حداد قلت ما اشتهر عنهم من حب الذات !! حبذا لو سبقت وقلت هذه الكلمة بغير هذه اللغة لانني كثيرًا ما رأيت لفظة egotism ; egoism ترد عند الافرنج مرادفة للجنس النشيط او تابعة لهُ او متبوعة بهِ !! والامل ان لا يحولوا نشاطهم الى لومي وتعنيفي على ذلك فاني لست الاَّ بناقلة لما اشاهدهُ واسمعهُ وناقل الكفر ليس بكافر !!

وقبل الختام ايضاً اطلب من حضرات السيدات ان يوجهنَّ انظارهنَّ معي الى هذا الامر الجلل فنحن ولا شك متفقون علي ان نساء غيرنا من الامم المتمدنة قد سبقتنا بمراحل في امر الاهتمام بالرياضة الجسدية والاعتناء بالصحة فكنَّ اهلاً للقيام باحمال هذه الحياة ومشاقها وترحم اولادهنَّ عليهنَّ لما اورثنهم من الصحة والقوة اذ الصحة اعظم ثروة للرجل وأعظم جمال للمرأة كما يتبين لمن يتأمل في الامر قليلاً . ولا بدَّ لمن يقدم من بلادٍ اعتادت نساؤُها الحركة والعمل ان يعجب من عيشتنا الخاملة وتأثيرها في الصحة والهيئة اجمالاً ولا اظنكم تحسبونني ابالغ اذا قلت ان المرأة الغربية تناهز الخمسين من عمرها ولوائح الصبا بادية عليها وهي تعدّ نفسها قادرة على القيام باي عمل اعتادت عملهُ في العشرين من عمرها . فاين حالها من حال التي لا تدرك الثلاثين منا حتى تبدأ تذكر الضعف والعجز وعدم المقدرة علي المشي ونحو ذلك . هذا اذا كانت قد سلمت من بعض الامراض العصبية حقيقة كانت او وهمية

اذا ذكرتُ لحضراتكم ما شاهدتهُ من عيشة المرأة الانكليزية فربما ظننتم انني ابسط لكم عيشة النساء الطبيبات فتقولون ان كل امرأة لم توجد لتكون طبيبة حتي تعيش هذه العيشة . اقول دعونا من الطبيبات فلنتركهنَّ وشأنهنَّ . ولننظر الى حالة امرأة من الطبقة الوسطى التي هي قوام الامة الانكليزية . فهذه المرأة تركب الخيل والدراجات والقطرات والترامواي وتمشي على قدميها في يوم واحد وهي مع ذلك تهتم بامر بيتها وتلاحظ ترتيبهُ في الامور الكلية والجزئية

فلا تفوتها ملاحظة زوجها واولادها وخدمها ثم انها تكون عضوًا في كثير من الجمعيات العلمية والادبية والخيرية وتضطر ان تخصّ جانبًا مهمًّا من وقتها وقوتها بتلك الجمعيات وتجدها مع ذلك كلهِ قوية البنية طلقة المحيا سعيدة في حياتها ومركزًا تنبعث منهُ السعادة الى الذين حولها . وارى الأَولى بي ان اصور لحضراتكم المرأة الانكليزية بقصة تخطر على بالي الآن وبها اختم الكلام

دعتني احدى السيدات لاقضي عندها اسبوعًا من الزمن في قرية تعد من اجمل القرى في اسكتدلندا وذلك بعد ان اجتزت امتحاني الطبي الثاني وهو يعد من أصعب الامتحانات حتى جرت العادة ان اهالي التلامذة والتلميذات الذين يقدمون عليهِ واصدقاءهم يتذكرونهم خصوصًا حينئذٍ ويهيئون الوسائط لبسطهم وانشراحهم بعد اجتيازهم ذلك الامتحان . وكانت هذه السيدة قد تعرفت ببعض اعضاء عائلتنا في الاسكندرية فاحبت ان تهتم بامري حتى لا اشعر بالوحدة ووحشة الغربة في تلك الفرصة . فلبيت دعوتها مسرورة وكنت لم اشاهدها قبل ذلك فصرت اتصورها والقطار سائر بي وافكر في امرها وفي ما عسى ان تكون عليهِ فلما وصلت الى بيتها رأَيت حديقة غناء حاوية الازهار على انواعها ولما اجلت نظري فيها عجبت من ترتيبها وتنسيقها ودهشت من لطافة الذوق في ترتيب الوان الازهار فيها وقلت هذا فعل سيدة في مقتبل العمر اذ لا بدَّ لها من ملاحظة هذه الجنينة ولو سلمتها الى عدة من الجنائنية ولكن خاب ظني واضمحلت تصوراتي لما رأيت صاحبة البيت آتية لاستقبالي وهي لابسة البذلة التي تلبسها مدة العمل في الجنينة وهي لم تكلفها غير جنيه واحد على ما اخبرتني بعدئذٍ وعلى رأسها قبعة من الجوخ كالتي يلبسها الاولاد وبيدها مقص لو كان بيدي الآن لعافت السيدات منظرهُ لكبرهِ وغلاظتهِ

هذه السيدة تتجاوز الخمس والستين من العمر وهي تعمل في جنينتها نحو ثلاث ساعات او اربع يوميًّا وليس عندها من يعتني بجنينتها غيرها مع انها من ذوي الوجاهة والثروة . وهي عائشة وحدها لان اشغال اولادها ووظائفهم قضت عليهم بسكن مصر والهند

وقد ادهشني ما جمعتهُ هذه السيدة في بيتها من نفائس المصنوعات الشرقية من بسط وسجادات وطنافس وتطريز قديم وحديث مما يتعذر وقوع النظر على مثلهِ في احدى المدن الشرقية ولو قضيت الاشهر في التفتيش عنهُ . ولكل قطعة منها تاريخ عندها وقد اصلحتها ورفأَتها ورقعتها فحفظت بذلك رونقها وجمالها

فهذه قصتي وهذه افكاري ابنتها لحضراتكم موجزة قدر الامكان فان لم يكن كلامي قد اورثكم الملل فحسبي ذلك منةً وكفى

باب المراسلة والمناظرة

قد رأينا بعد الاختبار وجوب فتح هذا الباب ففتحناهُ ترغيبًا في المعارف وانهاضًا للهمم وتشحيذًا للاذهان. ولكنّ العهدة في ما يدرج فيهِ على اصحابهِ فنحن براءُ منهُ كلهِ . ولا ندرج ما خرج عن موضوع المقتطف ونراعي في الادراج وعدمهِ ما يأتي: (١) المناظر والنظير مشتقَّان من اصلٍ واحد فمناظرك نظيرك (٢) انما الغرض من المناظرة التوصل الى الحقائق . فاذا كان كاشف اغلاط غيرهِ عظيمًا كان المعترف باغلاطهِ اعظم (٣) خير الكلام ما قلَّ ودلَّ . فالمقالات الوافية مع الايجاز تستختار على المطوَّلة

التوفيق بين اصحاب الاديان

حضرة الفاضلين منشئي المقتطف الاغر

اني اشكر فضلكم على ما تكرمتم بهِ في مقتطفكم الاغر (الجزء الثالث من هذه السنة) من مدحكم مشروع التوفيق بين اصحاب الاديان واستحسانكم الغاية ولكن ختمتم الكلام بقولكم انكم لا ترون التوفيق سهلاً ولا ترون السبيل الذي طرقتهُ مؤديًا اليهِ . فاسمحوا لي بايراد عبارة وجيزة للايضاح

اولاً . ان كل سعيي انما كان في اظهار الوفاق الكائن فعلاً بين الانجيل والقرآن كما يوجد بين التوراة والانجيل انما سوء التفاهم في بعض آيات قلائل جدًّا واحدة في القرآن وتسع في الانجيل اوهم وجود تضاد بينهما وشقاق علا صياحهُ كل هذه القرون في كل الآفاق

فلو فُهِمَت هذه الآيات العشر بحسب القرائن وروح الاسفار المأخوذة منها وعموم الكتب المنزلة لزال كل خلاف جوهري كما زال لديَّ في برهة وجيزة جدًّا بلا مرشد اصلاً سوى طلب الحق باخلاص . ولا اظن ذلك صعبًا على احد يطلب الحق باخلاص تام لا سيما بعد ما بيَّنتُ صريحًا في ما نشرتهُ حتى الآن كل وجوه الوفاق بين الانجيل والقرآن الشريفين . ثم انهُ لا يصحُّ الاعتماد على مجرد التباس وهمي في بعض آيات ولو ضادَّ النص الصريح في اكثر من الفي آية في العهد الجديد فضلاً عن آي كل اسفار العهد القديم وصريح نصوص القرآن العزيز

ثانيًا . لو خصصتم حضرتكم وسائر اصحاب المجلات الاخرى جزءًا صغيرًا منها لهذا الموضوع لنوَّرتم كل انسان في علاقاتهِ مع اهل السماء والارض ومع نفسهِ واهلهِ ودللتموهُ على

سعادة الدارين . لانكم بلا مساعدة نور الدين ربما تعالجون داءً فيجدُّ ادواءٌ غيرهُ اضرُّ منهُ

ثالثًا . أَلا تستحسنون وجوب ابانة السبل المؤَدية للتقارب بين الناس في جوهر الدين وعرفان الصواب فيهِ بما ان الدين هو اشد رباط في الدنيا واثبت وافضل واعم في كل العلاقات الانسانية

رابعًا . ان الكلام في الدين ليس من خصائص رؤَساء الدين او خدَّامهِ وحدهم بل هو من واجبات كل عالم او متنور في الدين . وقد استحسنتم آراءَ حضرة الفاضل امين افندي ريحاني مع ان ابانة حقائق الدين واظهار اصحها اسهل واقرب تناولاً من التساهل الديني المطلوب واقل ضررًا واحسن عاقبةً وارضى لله وللقلوب لاننا اذا لم نكترث للتضاد الديني والادبي فقد نخلو اخيرًا من كل اعتقاد بوحي او آخرة او حياة ابدية ونبعد عن الآداب الحقيقية . نعم المعاملة بالحسنى هي من اوامر كل دين ولكن الضلال والكفر والتضاد في الدين مكروهة في كل دين فكيف يمكن التوافق والتساعد القلبي . فإِما يلزم ترك الدين بالمرَّة او يلزم عرفان الصواب فيهِ وهذا صار سهلاً الآن ويمكن اظهارهُ ونشرهُ للعموم نظرًا لاتساع المعارف وكثرة وسائط النشر ورغبة الجمهور في المعرفة

الارشمندريت
خريسطفورس جباره

[المقتطف] يريد حضرة الكاتب منا ان نخصص جانبًا من المقتطف للتوفيق بين الناس دينًا اي لاقناعهم بان اديانهم متفقة ولو اختلفوا هم في فهم كتبها . وهذا نفعلهُ نحن دائمًا على اسلوب غير الاسلوب الذي ينتدبنا اليهِ وهو نشر المعارف التي تنير العقل فان العقول اذا استنارت لا تعود تختلف في ما لا اختلاف فيهِ كما أَنها لا تختلف مثلاً في ان النار تحرق الخشب والكينا تشفي من البرداء ومربع الوتر من مثلث قائم الزاوية يعدل مربعي ساقيهِ ولله در المعري حيث قال

جاءَت احاديثُ ان صحَّت فان لها شأْنًا والاَّ ففيها ضعف اسناد
فشاورِ العقل واترك غيرهُ هدرًا فالعقل خير مشيرٍ ضمهُ النادي

واذا استنارت العقول لم يتعذَّر عليها اكتشاف الاتفاق بين القضايا التي تنظر فيها ولو لم يكن الاتفاق واضح الظهور ولهذا قلما نرى اختلافًا في امر جوهري بين علماء الرياضيات والطبيعيات وان وجد فيكون في التعليل والتفسير لا في الاصول والقواعد المقررة . هذا من حيث ما يمكن للبشر ان يتفقوا او يختلفوا فيهِ من تلقاء انفسهم وبحسب ارشاد عقولهم . ويقول اهل الاديان ان هناك امورًا اخرى لا تقاس بمقياس العقل والعلم ولا ترسخ في النفس

بالحجة والدليل لا " باقوال حكمة بشرية " بل بفعل روحي يشهد للارواح . فهذه الامور لا يحققها البحث العلمي ولا يزيدها النشر في المجلاَّت انتشارًا

ترقية المرأَة

سيدي منشئ المقتطف الزاهر

صدر كتاب المرأَة الجديدة بعد تحرير المرأة فنتجت عنهُ حركة في الافكار واختلاف في الآراء . ولما كان المقتطف الأنور هو المجلة الاجتماعية في الشرق فهو احق بالبحث في هذه المسألة التي ترتبط بالهيئة العمرانية في الشرق عمومًا

لعمر الحق ان المرأَة المصرية ليست في رق الأَرق الجهل . وتأَخر العائلات المصرية على الغالب والتقصير في تربية الناشئة ناتج في الكثير من جهل النساء فالواجب على الذين يفتكرون الآن في تحرير المرأَة ان يبحثوا في طرق تعليمها وبث المبادىء القويمة فيها . فالعلم هو النور الذي يمشي وراءهُ الانسان في هذه الحياة

ولنترك الحجاب وشأْنهُ لانهُ من الامور الدينية او من الامور المتأَصلة في النفوس لا يرفعهُ مجرد البحث واقامة البراهين العقلية او النقلية فالناس مقتنعون بضرورتهِ ولزومهِ وحكمهُ صريح في الكتاب فلا داعي ولا نفع في الاجتهاد في رفعهِ بعد ثلاثة عشر قرنًا

فان كان غرض من امضوا السنين الطوال في جمع الادلة والبراهين على رفع الحجاب هو تحرير المرأَة فليحرروها من رق الجهل رق حياة النفس والروح في الظلمات وليجتهدوا في انشاء جمعية عمومية في القاهرة (تنتشر فروعها في ما بعد في جميع الاقاليم) غرضها تعليم المرأة فان تأَسست الجمعية وثبتت ولا اخالها الأَ ثابتة وطيدة باذن الله بعد هذه الحركة ومدّت لها يد المساعدة وانشأَت مدارس لتعليم البنات حقيقة تعليمًا نافعًا بحسب احتياجات العائلات المصرية نشأَت امرأَة جديدة في مصر وراء حجاب العفة والنزاهة وصفات الكمال تعرف ما لها وما عليها وتؤَدي وظيفتها كما ينبغي ان تؤَدى فترتاح العائلات ولا تنسى ما بعد ذلك من الهناء في المعيشة وتربية الناشئة والصرف في ما ينبغي لا تبذير ولا تقتير

هذه هي سعادة المرأَة او سعادة الرجل والمرأَة معًا

فمن يسعى في ذلك سعيًا حقيقيًا بغيرة وهمة ثابتة حق لهُ اعظم الشكر في مستقبل الايام وعظيم الفخر الآن في ترقية الهية الاجتماعية المصرية وان عاش ورأَى ما يثمرهُ تعميم تعليم البنات فعندها لا يشير الأَ بتعميم الجمعيات لتعليم الناشئات وهذا منتهى الخير في هذه الحياة الدنيا والآخرة والسلام

المنصوره في ١٧ فبراير سنة ١٩٠١ رمضان احمد

علموا البنات ما يحتجنَ اليهِ

حضرة منشئي المقتطف الفاضلين

لا اكتب هذه السطور قصد الردّ على ما كتبهُ حضرة الاديب سليمان افندي ميخائيل في الجزء السابق من المقتطف بل ايضاحاً لامرٍ تمسُّ الحاجة اليهِ شديد المساس وهو ماذا يجب ان نعلّم بناتنا في المدارس . فان الذين انشأوا المدارس للصبيان ساروا فيها على غير هدًى سنين كثيرة ثمَّ عادوا الآن الى الاختيار والانتقاء فكان الاوربيون يبقون الشاب عشر سنوات بدرس اللاتينية واليونانية وهم يعلمون انهُ سيكون تاجرًا او مهندساً لا يحتاج الى شيءٍ مما قضى زهرة العمر في تعلمهِ . واهالي هذا القطر والقطر السوري كانوا يقضون السنوات الطوال في درس الصرف والنحو والبيان متوناً وشروحاً وحواشي ويحسبون ذلك العلم كلهُ. ولا يزال كثيرون من الاوربيين يقضون السنين في درس الجبر والهندسة والرياضيات العليا وهم يستعدون لدرس الطب مثلاً حيث لا يحتاجون الى غير قواعد الحساب الاربع الاصلية

واذا اردنا ان نعلِم بناتنا ما يحتجنَ اليهِ فقط وجب اولاً ان نقسم البنات الى اقسام حسب درجتهنَّ في الحياة لان ما تحتاج اليهِ ابنة الوزير لا تحتاج اليهِ ابنة الفلاح وما تحتاج اليهِ ابنة الفلاح لاتحتاج اليهِ ابنة التاجر وهلمَّ جرًّا

ومن العلوم ما يحتاج اليهِ كل احد فقيرًا كان او غنيًّا رجلاً كان او امرأَةً كالقراءة والكتابة ومبادىء الحساب والجغرافية وعلم الصحة وعلم وظائف الاعضاء وقوانين المعاملات العمومية فيجب ان يتعلمهُ الجميع على حدٍّ سوى . ومنها ما تحتاج اليهِ البنات اللواتي يرغبنَ في التعليم كقواعد اللغة وعلم التعليم. ومنها ما تحتاج اليهِ بنات الاغنياء كالموسيقى والرسم والتصوير والتاريخ . ولا بدَّ لكل البنات من ان يتعلمنَ علم تدبير المنزل من غير استثناء

بقي علم الطبخ . والبنات من حيث هذا العلم على ثلاثة اقسام كبيرة بنات الاغنياء اللواتي لا يطبخن بايديهنَّ ولا مانع يمنعهنَّ من تعلم علم الطبخ بل من وتعلمهِ فائدة لهنَّ ولكن ازواجهنَّ لا يريدون ان يروهنَّ في المطابخ بل يفضل الرجل منهم ان يرى زوجتهُ تلعب على البيانو او تصور صورةً جميلةً ولو دفع اجرة طبَّاخين او ثلاثة فيصير تعلمها لعلم الطبخ من باب العبث ان لم تمارسهُ

وبنات الاواسط اللواتي لا ينتظر ان يصرن طبَّاخات عند غيرهنَّ وهؤُلاء لاحاجة بهنَّ الى اتقان صناعة الطبخ كما يتقنها طبَّاخو الفنادق والقصور لان غاية ما ينتظر منهنَّ ان يطبخنَ

ما يحتجنَ اليهِ من الطعام في بيوتهنَّ او يساعدن الطباخات اللواتي يستأجرنهن وذلك كلهُ بسيط تتعلمهُ البنت من امها ويتعلمهُ الخادم البربري في شهرين من الزمان اذا كان نبيهًا . واذا وُجد في البلاد مدارس للطبخ فلا بأس بذهاب هؤلاء البنات اليها والقيام فيها شهرًا او شهرين لمشاهدة اساليب الطبخ التي تستعمل فيها والتمرُّن عليها بالعمل

وبنات الفقراء وهؤلاء إما ان يتعلمنَ ليصرنَ طبَّاخات او لا . فان كان الاول فلا بدَّ لهنَّ من ان يتعلمنَ علم الطبخ في مدرسة خاصَّة بهِ وان كان الثاني فالغالب ان فقر والديهنَّ يمنعهنَّ من التعلُّم في المدارس العالية واذا تكرَّم عليهنَّ احد فدفع اجرة تعلمهنَّ او كان في المدارس العالية مال من اهل البر لتعليم بنات الفقراء مجانًا وكان لهنَّ نصيب من ذلك فرأيي عليهنَّ ان لا يُضعنَ وقت احراز العلم في التمرُّن على الطبخ بل يقضينهُ في تعلُّم علم التعليم لان مقام المعلمة ارقى كثيرًا من مقام الطبَّاخة وفائدتها لنوع الانسان اعظم جدًّا من فائدة الطباخة. اما الطبخ البسيط الذي تحتاج اليهِ المرأة الفقيرة في بيتها فلا يستدعي علمًا في المدارس بل يكفي ما تتعلمهُ من امها وجاراتها وما يرشدها اليهِ عقلها او ما تطالعهُ في كتب الطبخ

وجملة القول ان تعلم البنات يجب ان يكون بحسب ما يحتجنَ اليهِ لا ان يكون جزافًا من غير قصد ولا تقدير لان الحياة قصيرة والواجبات كثيرة ومن تضع وقتها في تعلُّم ما لا تحتاج اليهِ لا تجد وقتًا آخر لتعلُّم ما تحتاج اليهِ

احدى قارئات المقتطف

باب الهدايا والتقاريظ

دائرة المعارف

يندر ان يؤلف كتاب في اللغة العربية في هذا العصر يخلَّد بهِ اسم مؤلفهِ واندر من ذلك ان يؤلف كتاب يخلَّد بهِ اسم عائلة كبيرة ككتاب دائرة المعارف الذي شرع فيهِ المرحوم بطرس البستاني الخالد الذكر والاثر وانجز ابنهُ المرحوم سليم البستاني جانبًا منهُ ووقع لاخويهِ نجيب افندي ونسيب افندي ولابن عمهما سليمان افندي بستاني ان يتموهُ. وقد تأهلوا كلهم لاتمامهِ بالدرس والبحث والتنقيب ولا سيما سليمان افندي الذي ترجم اشعار هوميروس الى العربية ونظمها وشرحها فيها

وقد صدر الآن الجزء الحادي عشر من الدائرة مبتدئاً بكلمة صُلُبَة ومنتهياً بكلمة عثمانية . وورد فيهِ بين هذين الحدين مئات من المواد المشروحة شرحاً مسهباً مما لا يعثر عليهِ الا في دائرة المعارف او في خزانة كتب كبيرة فالكلام على الصلبة وهم جيل من البدو يملأُ اربع صفحات كبيرة بقلم سليمان افندي بستاني ولهُ بحث خاص في هذا الموضوع نشرهُ في المجلد الثاني عشر من المقتطف . والكلام على الصليبيين يملأُ تسع صفحات كبيرة والكلام على الصين يملأُ ٢١ صفحة وعلى الطاعون تسع صفحات وعلى الطائر ١١ صفحة وعلى الطباعة ١١ صفحة ايضاً وعلى الطب ٢٠ صفحة وهلم جرًّا

وقد امتازت دائرة المعارف علي كل الكتب الاوربية التي من نوعها بما تضمنتهُ من ترجمات الاعلام العربية وتاريخ ممالك العرب وآدابهم فاذا امكن عارفي اللغات الاوربية كالانكليزية او الفرنسوية ان يستغنوا عنها بالانسكلوبيذيات الافرنجية في العلوم والفنون والتواريخ الاوربية لا يستطيعون ان يستغنوا عنها في شيء مما يتعلق بتاريخ العرب وعلومهم وآدابهم وترجمات رجالهم . ومن هذا القبيل تاريخ بني طغتكين ولاة الشام في القرن السادس وطغرل بك السلجوقي والملك الظاهر بيبرس والشيخ ظاهر العُمَر والملك العادل نور الدين محمود بن زنكي صاحب مصر والشام والملك العادل اتابك والملك العادل اخو صلاح الدين وبنو عبَّاد وعبد الغني النابلسي وغيرهم من الاعلام المشهورة

والشرح مسهب في التواريخ والعلوم الحديثة ايضاً كما يظهر من الكلام على الطير والطيف الشمسي والدولة العثمانية وطرق الحديد والطب والطباعة والطاووس والضفدع . وهو موضح بصور كثيرة في متنهِ وفي مجموعة من الصور البديعة ملحقة بهِ

وجملة القول ان حضرات العلماء الافاضل سليمان افندي ونجيب افندي ونسيب افندي البستاني لم يدَّخروا وسعاً في جعل هذا الجزء مثل الاجزاء السابقة او اكبر منها فائدة . وان دائرة المعارف كتاب نفيس لاَ تستغني عنهُ مكتبة شرقية

فن الصوت والموسيقى

الموسيقى او علم الايقاع علم اعتنت بهِ كل الامم الكبيرة قديماً وحديثاً فكان لهُ مقام رفيع عند المصريين والكلدان واليونان والفرس والروم والعرب وعند اهالي الهند والصين ولهُ الآن المقام الاعلى عند الاوربيين . وقد نقلهُ العرب عن اليونان مع ما نقلوا من التعاليم ووضعوا فيهِ مصنفات . ووسع المحدثون من الاوربيين هذا العلم ووضعوا لهُ قيوداً جديدة يسهل

ربط الانغام بها . ويسرُّنا ان احد النابغين من المصريين حضرة رزق الله افندي شحاته وضع فيهِ كتاباً بالعربية بعد ان اختبر تدريسهُ سبع سنوات وطالع اهم المؤلفات الاوربية الحديثة وقد طبع هذا الكتاب طبعاً متقناً جدًّا في مطبعة المقتطف وهو يطلب من مكاتب حضرات المرسلين الاميركيين

المرأة في الاسلام

يرث الولد الاستعداد الجسمي والعقلي من امهِ كما يرثهُ من ابيهِ وتربيتهُ رضيعاً وطفلاً وفتًى موكولة الى امهِ لا الى ابيهِ فاذا تناظرت امتان في ميدان هذه الحياة وكانت القوى الجسمية والعقلية بالغةً اشدَّها من النمو والتهذيب في رجال الامة الواحدة ونسائها ايضاً وبالغة اشدَّها في رجال الامة الثانية دون نسائها فلا بدَّ من ان يسبق اولادُ الامَّة الاولى اولادَ الامة الثانية في ميدان الحياة

ثم ان الجسم والعقل لا يبلغان اشدَّهما من النمو والارتقاء الاَّ بالتعليم والتمرين وقرن العلم بالعمل ومعاملة الناس ومعاركة الدهر وهذا يصدق على النساء كما يصدق على الرجال

ولعلَّ هذا الامر هو الذي دعا بعض فضلاء المشرق في بلاد الهند وفي القطر المصري الى المجاهرة بوجوب تعليم النساء وبوجوب رفع الحجاب من نساء الخاصَّة واشراكهنَّ في الاعمال كما يشترك فيها نساء العامة . ولم يقفوا عند كتابة المقالات المتفرقة في المجلات وصحف الاخبار ولا اكتفوا بتأليف الكتب بل وضع احد ادباء هذا القطر ابرهيم بك رمزي مجلَّة علميَّة تهذيبيَّة سمَّاها المرأة في الاسلام وجعل موضوعها البحث في ترقية شأن النساء فعسى ان تفي بالغرض المقصود منها وتجيء بالنفع المطلوب

تتمة البيان في تاريخ الافغان

للسيد جمال الدين الافغاني شأن كبير عند مريديهِ حتى لقد كانوا يلقبونهُ بمهبط اسرار الحكمة وفيلسوف الاسلام والمسلمين . وسواءٌ كان كما يقولون او لم يكن فلا شبهة في انهُ كان من اعرف الناس بتاريخ بلادهِ وما تقلَّب عليها من الشؤُون السياسية ولذلك يرحّب ابناء المشرق بكتاب وضعهُ في تاريخها . وقد اسهب في وصف الحروب التي ثارت بين الانكليز والافغان وخذل فيها الانكليز مرارًا والحق ذلك بفصل مسهب في بيان الشعوب المختلفة الساكنة في افغانستان واخلاقها وعاداتها ومذاهبها وكيفية حكومة البلاد وهو افضل فصول الكتاب . وقد التزم طبعهُ حضرة الاديب علي افندي يوسف الكريدلي محرر جريدة العلم العثماني

باب المسائل

فتحنا هذا الباب منذ اول انشاء المقتطف ووعدنا ان نجيب فيهِ مسائل المشتركين التي لا تخرج عن دائرة بحث المقتطف · ويشترط على السائل (١) ان يمضي مسائلهُ باسمهِ والقابهِ ومحل اقامتهِ امضاء واضحًا (٢) اذا لم يرد السائل التصريح باسمهِ عند ادراج سؤالهِ فليذكر ذلك لنا ويعين حروفًا تدرج مكان اسمهِ (٣) اذا لم ندرج السؤال بعد شهرين من ارسالهِ الينا فليكررهُ سائلهُ فان لم ندرجهُ بعد شهر آخر نكون قد اهملناهُ لسبب كافٍ

(١) اكبر حيوانات البحر

دنديط . سعد الدين افندي نافع . ارجو ان تفيدونا عن طول اكبر حيوان في البحر ووزنهِ وعمرهِ

ج الحيتان اكبر الحيوانات البحرية وقد ذكر العالم ود في كتابهِ عن الحيوان حوتًا طولهُ ٩٥ قدمًا انكليزية وعرض ذنبهِ ٢٢ قدمًا ونصف قدم وكان ثقل هذا الحوت ١٥٠ طنًا وذكر غيرهُ حوتًا طولهُ ١٢٢ قدمًا . وعمر الحوت غير معروف

(٢) الحشرات القشرية

طنطا . الخواجه سليم قطيني . وجدنا على بعض الاشجار دويبة صغيرة وقد اضرَّت بالاشجار ضررًا شديدًا فارسلنا اليكم عودًا عليهِ منها فما هو نوعها وما هو علاجها

ج نراها من الحشرات القشرية ولعلها من النوع المسمى Aspidiotus Harrisii اما علاجها فقضب الاشجار حتى لا يبقى منها الاَّ اغصان قليلة او لا يبقى الاَّ ساقها ومسحها بمستحلب زيت البترول وقد فصَّلنا كيفية عملهِ واستعمالهِ في الصفحة ٣٧٩ من المجلد العشرين من المقتطف (ووضع عدد الصفحة هناك ١٧٩ خطاء)

(٣) سكان المريخ

الخواجه رشيد ابو ريحان . بمدينة جكسن بميزوري في الولايات المتحدة . ذكرتم ما يظنهُ العلماء من وجود سكان في المريخ فهل يمكن ان تفيدونا عن جنسهم وهل هم من جنس البشر

ج ان وجود السكان في المريخ من الامور المحتملة لان حالتهُ الطبيعية تسمح بان يكون مسكونًا وهذا كل ما يُعلم من امرهِ من هذا القبيل . اما جنس هؤُلاء السكان فلا يعلم وليس لدى البشر حتى الآن واسطة يعلمون بها نوع سكان الكواكب ولكن لا يستحيل ان توجد واسطة يعلم بها ما اذا كانت السيارات مسكونة او غير مسكونة ونوع سكانها لاسيما وان مَن يبحث عن سكانها يثاب على بحثهِ فان احدى السيدات تركت مالاً لمن يثبت انها مسكونة

(٤) الملائكة الساقطة

ومنهُ . يقال ان ثلاثة اجواق من الملائكة سقطت من السماء جوق منها بقي بين السماء والارض وجوق وصل الى الارض وجوق نزل تحت الارض فهل من عالمٍ فوق الارض وعالم تحت الارض

ج ان هذه الاقوال غير مؤَسسة على اساسٍ علمي اي لا اساس لها بين معلومات البشر التي علموها بالحس والمشاهدة والاستدلال . والارض كرة كالبرتقالة معلقة في الفضاء تدور على نفسها وتدور حول الشمس وليس حولها ما يقال لهُ فوق وما يقال لهُ تحت حقيقةً وانما نحن سكان الارض نعني بكلمة فوق ما كان فوق رؤُوسنا اذا كنا واقفين على الارض وبكلمة تحت ما كان تحت اقدامنا فالفوق يعم كل ما يحيط بالارض من كل الجهات والتحت يختص بما تحت اقدامنا من الكرة الارضية . وما نشير اليهِ بكلمة فوق نهارًا مما حول الارض نشير اليهِ بكلمة تحت ليلاً كما يظهر باقل تأَمل

(٥) دوران الارض

ومنهُ . أَصحيح ما يزعمهُ العلماءُ من ان الارض تدور وان الكواكب والشمس والقمر راكزة لا تدور

ج الذي يقولهُ العلماءُ ويثبتونهُ بادلة كثيرة مقنعة لا سبيل معها للريب هو ان الارض كرة كبيرة تدور على نفسها دورة كاملة كل اربع وعشرين ساعة وتدور حول الشمس دورة كاملة كل سنة . والشمس اكبر من الارض كثيرًا وهي في مركز النظام الشمسي الذي هو الارض والزهرة وعطارد والمريخ وزحل والمشتري واورانوس ونبتون وهذه السيارات تدور كلها حول الشمس والشمس ثابتة بالنسبة الى هذه السيارات ولكنها تحملها وتدور معها في هذا الفضاء الواسع حول مركز آخر بعيد جدًّا . اما النجوم الاخرى التي في السماء فنراها تدور حول الارض لا لانها تدور حولها حقيقة بل لان الارض تدور بنا على محورها فلا نشعر بدورانها لكبرها بل نشعر بدوران النجوم الى الجهة المقابلة . والارض تدور من الغرب الى الشرق ولذلك نرى النجوم تدور من الشرق الى الغرب كما اذا كنتم سائرين في قطار سكة الحديد من الغرب الى الشرق فانكم قد لا تشعرون بسيرهِ بل تشعرون كأَن الارض التي بجانب القطار تسير من الشرق الى الغرب

(٦) شهب نوفمبر

بيروت . احد المشتركين . هل تساقطت الشهب في شهر نوفمبر الماضي كما زعم الفلكيون وهل كان سقوطها عموميًّا وغزيرًا

ج ذكرنا في الجزء الماضي ان مدير مرصد تورنتو بكندا شاهد تساقطها في ١٥

نوفمبر الماضي وكانت كثيرة جدًّا امتلأَ بها الجو وشاهدها ايضاً في الليلة التالية وبقيت تتساقط الى الصباح وذعر الناس منها وظنوا انهُ دنا انقضاء العالم . فان كان ما انبأ بهِ هذا المدير صحيحاً فقد سقطت شهب نوفمبر في حينها ولو لم ترَ في كل البلدان . ومعلوم ان الشهب القريبة من الارض لا ترى في اماكن كثيرة في وقت واحد وان ما يرى منها ليلاً في اميركا لا يرى في اوربا في الوقت نفسهِ لان الوقت يكون نهارًا فيها ولكن تورنتو قريبة من مدن كثيرة اميركية كبفلو وهملتون والبعد بينها وبين نيويورك غير شاسع لا يبلغ ٣٥٠ ميلاً فيستغرب عدم رؤيتها فيها الاَّ اذا كانت قريبة من الارض جدًّا

(٧) اعمار القدماء

ومنهُ . جاء في التوراة ان القدماء كانوا يعيشون نحو الف سنة فهل كانت سنتهم اقصر من سنتنا او كان الواحد منهم يعمّر عشرة اضعاف ما يعمرهُ الواحد منا الآن

ج ان حقيقة ذلك غير معلومة ولعلماء التفسير اقوال مختلفة فيهِ ويميل اكثرهم الى ان السنين المشار اليها مثل سنينا تماماً والناس الذين يقال انهم عاشوا مئات من السنين قد عاشوا كذلك حقيقة حسب نص التوراة الصريح

(٨) شهر فبراير

المنيا . يعقوب افندي دوغان . قرأت في جريدة انكليزية ان شهر فبراير سيكون ٢٨ يوماً مدة خمسين سنة من ١٩٠٠ الى سنة ١٩٥٠ فهل ذلك صحيح

ج . كلاَّ ولكن يقال ان قيصر الروس ارتأى ان يبقى فبراير ٢٨ يوماً في السنين الكبيسة بالحساب الشرقي الى ان يزول الفرق بين الحساب الشرقي والغربي وهو يزول في ٥٢ سنة اذا فعل ذلك

(٩) السنة الكبيس

ومنهُ . لماذا كان شهر فبراير في السنة الماضية ٢٨ يوماً مع ان سنة ١٩٠٠ تقسم على ٤ بدون باقٍ

ج . لانها تقسم ايضاً على ١٠٠ بدون باقٍ ولو كانت تقسم على ٤٠٠ بدون باقٍ لعادت كبيسة فان القاعدة في الحساب الغربي هي ان السنة تحسب كبيسة اي يحسب شهر فبراير فيها ٢٩ يوماً اذا كانت تقسم على ٤ ولكنها لا تقسم على مئة واذا كانت تقسم على مئة تحسب عادية بشرط ان لا تقسم علي ٤٠٠ فسنة ١٥٠٠ عادية ولو كانت تقسم على ٤ بدون باقٍ لانها تقسم ايضاً على مئة ولا تقسم على ٤٠٠ وسنة ١٦٠٠ تحسب كبيسة مع انها تقسم على ١٠٠ لانها تقسم ايضاً على ٤٠٠ وسنة ١٧٠٠ عادية وكذا سنة ١٨٠٠ و١٩٠٠ هذا في الحساب الغربي اما في الحساب الشرقي فيحسب فبراير ٢٩ يوماً في كل سنة تقسم على ٤ وقد جعل الفرق بين الحساب الغربي

والشرقي ١٠ ايام في عهد البابا غريغوريوس سنة ١٥٨٢ . وفي سنة ١٦٠٠ بقي الفرق على حالهِ لان الشرقيين حسبوا تلك السنة كبيسة لانقسامها على ٤ والغربيين حسبوها كبيسة ايضاً لانها تقسم على ٤٠٠ . وسنة ١٧٠٠ زاد الفرق يوماً فصار ١١ يوماً لان الشرقيين حسبوها كبيسة واما الغربيون فحسبوها عادية لانها تقسم على ١٠٠ ولا تقسم على ٤٠٠ . وسنة ١٨٠٠ زاد الفرق يوماً آخر فصار ١٢ يوماً للسبب المتقدم ذكرهُ وكذا سنة ١٩٠٠ زاد الفرق يوماً ثالثاً فصار ١٣ يوماً ويبقى الفرق ١٣ يوماً سنة ٢٠٠٠ ويصير ١٤ يوماً ٢١٠٠ وهلمَّ جرّاً

(١٠) كروجر

القناطر الخيرية . محمد افندي فهمي . لما قام كروجر من لورنزوماركيز لِمَ لم يأسرهُ الانكليز أوَلم تتعدَّ هولندا حقوق الحيادة بنقلهِ في سفينتها الحربية

ج اذا فرَّ احد المتحاربين الى بلاد دولة على الحياد حُمي في بلاد تلك الدولة ولم يجز لخصمهِ ان يقبض عليهِ فيها . وكروجر هرب اولاً الى املاك البرتغال فاضطر الانكليز ان يمتنعوا عن اتباعهِ اليها ونزل منها في البارجة الهولندية وحكم البارجة حكم املاك الدولة الاجنبية لا يجوز انتهاك حرمتها

(١١) غرينلندا

ومنهُ . هل كانت جزيرة غرينلاند مأهولة وقت اكتشافها وكيف كان حال سكانها قبل التاريخ الميلادي

ج لا بدَّ من انكم تريدون "بوقت اكتشافها" وقت اكتشفها الاوربيون والاَّ فان اردتم وقت اكتشفها الناس اول مرة فجوابهُ بديهي انها لم تكن مأهولة اما وقت اكتشفها الاوربيون فكانت مأهولة بسكانها الاسكيمو والمرجح انهم جاؤُها من اسيا او انهم من هنود اميركا تبعوا مجرى الانهار الشمالية حتى وصلوا غرينلندا او رحلوا شمالاً من امام شعب اقوى منهم حتى وصلوا الى اطراف اميركا الشمالية وعبروا الى غرينلندا. ولا يعلم كيف كان حال سكانها قبل التاريخ الميلادي ولا يظهر لنا انهُ سكنها احد حينئذٍ ولم يعلم شيء من امرهم الاَّ منذ عهد قريب

(١٢) سبات طويل

طما . احمدافندي رزق . روى البصير في العدد ١٠٧٠ الصادر في ١٣ مارس الحالي ان رجلاً في اوستراليا ارتكب جريمة القتل وبينما كانت المحكمة تتهيأُ للحكم عليهِ نام ولبث نائماً من نوفمبر سنة ١٨٩٦ حتى استيقظ في يناير سنة ١٩٠١ ولم يدرِ من جنايتهِ شيئاً. وحيث ان العقل يرتاب في صحة هذه الرواية فارجو ابداء رأيكم فيها

ج يظهر لنا ان الرجل المشار اليهِ اصابهُ شيء من البحران فبقي يأكل ويشرب ولكنهُ لا ينتبه الى شيء فحفظت حياتهُ الى ان

استيقظت قواهُ العقلية او زال الخلل من دماغهِ فعاد يدرك كما كان قبل ان اصابهُ البحران

(١٢) اصغر ممالك اوربا

مصر . محمد افندي عمر . هل من مملكة في اوربا دخلها السنوي اقل من ٣٠٠ الف جنيه

ج . ان مملكة سان مارينو او جمهورية سان مارينو سكانها نحو ثمانية آلاف نفس فقط ولا نعلم كم دخل حكومتها بالتحقيق ولكننا لا نظن انهُ اكثر من عشرة آلاف جنيه . وامارة الجبل الاسود دخل حكومتها السنوي ستون الف جنيه

باب الاخبار العلمية

هيكل فينيقي

بينا نرى الممالك الاوربية ورجالها يكابدون المشاق وينفقون النفقات الطائلة لاكتشاف آثار الاولين نرى هذه الآثار تنكشف عفواً لابناء سورية فلا يعتنون الا باعطائها لحكومتهم من ذلك ما قرأناهُ في جرائد بيروت وهو انهُ كُشف هيكل عظيم في جوار صيداء في بستان على ضفاف نهر الاولى . والهيكل فينيقي مبني بحجارة عاتية طول الحجر منها نحو عشر اذرع وفيهِ كثير من التماثيل وكتابة يقال فيها ان الهيكل بني للاله عمون . والبستان الذي فيهِ الهيكل لسعادة نسيب بك جنبلاط فاهداهُ بما وجد فيهِ الى الحكومة العثمانية

النجم الجديد

ذكرنا اكتشاف هذا النجم في الجزء الماضي وقد ثبت بعد ذلك من مراجعة صور السماء الفوتوغرافية انهُ لم يكن ظاهراً في ١٩ فبراير الماضي او كان اصغر من القدر الحادي عشر . وبعد ذلك فاق الشعرى العبور والدبران والعيوق في لمعانهِ ثم ضعف نورهُ رويداً رويداً حتى بلغ القدر الثالث ثم اختفى عن العيان

واول نجم جديد انتبه لهُ الناس وذكروهُ في تواريخهم ظهر سنة ١٣٤ قبل المسيح . ومن ذلك الحين الى الآن انتبهوا الى ١٩ نجماً جديداً ثلاثة عشر منها رُئيت في القرن الماضي وستة من هذه في السنوات العشر الاخيرة منهُ فلو اهتمَّ الناس برصد الافلاك في القرون الغابرة كما اهتموا برصدها في القرن الماضي وفي السنوات العشر الاخيرة منهُ لرأوا نجماً جديداً كل سنة او سنتين . ثم ان ما يرى بالعين من النجوم لا يبلغ جزءًا من عشرة

آلاف جزء من النجوم التي ترى بالتلسكوب الكبير فاذا كانت النجوم الجديدة تزيد على هذه النسبة ايضاً فقد ظهر منها الوف كثيرة في هذه العشرين قرناً

والنجم الجديد يظهر للعيان بغتةً ويزيد اشراقهُ سريعاً ثم يقلُّ رويداً رويداً الى ان يختفي ثانيةً . وقد فرض العلماء فروضاً مختلفة تعليلاً لظهور النجوم الجديدة لكنهم لم يجدوا حتى الآن فرضاً تعلَّل بهِ كل ظواهرها

اللبن والميكروبات

بحث الدكتوران فلاجسا وارتونا في مدرسة رومية الجامعة عن وجود الميكروبات في اللبن وعن فعل النور والحرارة بها فوجدا ان نور الشمس لا يميت الاَّ الميكروبات التي تعيش على سطح اللبن فلا يكون لها ما يقيها من نور الشمس ووجدا ان ميكروب الدفتيريا يعيش في اللبن ويولّد فيهِ مادتهُ السامة ولكن لا يكون سمهُ فيهِ اقوى من سمهِ لو ربي في سائل آخر . ووجدا ايضاً انهُ اذا سخن اللبن الى الدرجة ٦٠ او ٧٠ او ٨٠ بميزان سنتغراد لم تكن الحرارة كافية لقتل ميكروب السل منهُ اذا كان فيهِ

الكسوف المقبل

ستكسف الشمس كسوفاً تاماً في ١٨ مايو المقبل يبتدئ الكسوف في الجنوب الغربي من مدغسكر ويسير شمالاً فشرقاً ويقطع الاوقيانوس الهندي ويمرُّ في موريتوس وسمطرة وبورنيو وجزائر سلبس وغينيا الجديدة . ومدة الاختفاء التام في موريتوس نحو ٣ دقائق و ٥٠ ثانية وفي ارخبيل ملقا ست دقائق ونصف دقيقة

المطر الدموي

امطرت السماء مطراً احمر كالدم في اوائل شهر مارس في ايطاليا وشمالي افريقية وكتب بعضهم من مدينة بلرمو بايطاليا في ١٠ مارس يقول تكاثفت الغيوم فوق المدينة منذ البارحة وكان الجو احمر داكناً وعصفت الجنوب عصفاً شديداً ووقع المطر نقطاً حمراء كالدم . ويعلل ذلك بغبار احمر من صحراء افريقية اثارتهُ العواصف ومزجت بهِ ماء المطر. ووقع هذا الغبار في نابلي ايضاً حملتهُ العواصف من صحراء افريقية

وكتب الاستاذ جد في جريدة ناتشران آثار المطر الدموي بلغت مدينة همبرج في المانيا وشلسوغ هولستين دلالة على كثرة الغبار الذي حملتهُ العواصف من افريقية . وبعث الدكتور ركر اليهِ بقليل من هذا الغبار جمعهُ عن مائدة رخام في فندق بايطاليا فبحث فيهِ بالميكرسكوب فاذا اكثرهُ مواد غير آلية وقطع من الكوارتز بينها كثير من الذرات النباتية التي تعيش في الماء القراح

وجمع الاستاذ ركر الغبار عن موائد في

صقلية قائمة على سطح الفندق الذي كان فيهِ ووزنهُ فوجد وزنهُ نحو غرام على ١٠ مساحتهُ نحو خمس اقدام مربعة فاذا فرضنا ان ما وقع على ايطاليا كلها هو على هذه النسبة بلغ وزنهُ ستمئة مليون كيلو غرام او ستمئة الف طن او خمسة اطنان ونصف على كل ما مساحتهُ ميل مربع

قبر بقراط

يقال انهُ كشف قبر بقراط ابي الطب في لارسا بتساليا وقد اهتمَّت الحكومة اليونانية بذلك شديد الاهتمام وبعثت لجنة الى هناك لتعمل بما تراهُ لازمًا لحفظ هذا القبر

تمييز دم الانسان

كشفت طريقة جديدة يميزبها دم الانسان عن دماء كل الحيوانات ما عدا دم القرد وذلك بان يحل قليل من دم الانسان وتحقن بهِ ارنب ثم يضاف قليل من دمها الى قليل من محلول الدم المشتبه فيهِ فان كان من دم انسان تعكر حالاً ورسب منهُ راسب وان كان من دم حيوانٍ آخر لم يتعكر ولا رسب منهُ راسب . ودم القرد يتعكر كما يتعكر دم الانسان ولكنهُ لا يتعكر حالاً كما يتعكر دم الانسان فيكون ذلك فارقًا بينهما

كتب مصر في اميركا

بلغ نصيب المدارس الاميركية الجامعة ١١٨ درجًا من الدروج المصرية القديمة المكتوبة على ورق البردي مما وُجد في القطر المصري حديثًا خصَّ مدرسة يال الجامعة ١٦ درجًا منها فيها اجزاء من كتاب افلاطون في الحكومة الجمهورية كتبت قبل المسيح بنحو مئة سنة واجزاء من رواية شعرية مفقودة . ووجد في نصيب مدرسة هرفرد الجامعة جانب من رسالة مار بولس الى اهالي رومية وجانب من اشعار الومان شاعر اسبرطه الذي كان سنة ٦٥١ قبل المسيح . وفي نصيب مدرسة كولمبيا تاريخ زنوفون المسمى بالهلينيكا وهو تاريخ بلاد اليونان مدة ٤٩ سنة وكتاب مرسل الى ملك مكدونية . وفي نصيب مدرسة جونس هبكنس ملخصات من تيسيديدس وديموستنس . وفي نصيب مدرسة برنستن قطعة من هيرودوتس من القرن الثاني وصك من عهد نيرون . وفي نصيب مدرسة فسار صك دين بثلاثة آلاف درهم ومقدار الربا ٨ في المئة وهو من القرن الثالث . وجملة الدروج ١١٨ كما تقدم واكثرها مما وجد في البهنسة

حفظ الصوت بالفونوغراف

نال الشهير اديصن امتيازًا من الحكومة الاميركية لعمل اساطين من الفضة تحفظ فيها العلامات التي تحدث الصوت بالفونوغراف الى ما شاء الله . وذلك ان تؤخذ هذه العلامات على اسطوانة الشمع اولاً ثم توضع اسطوانة الشمع في اناء فارغ من الهواء بين قطبين من الذهب وتمر بينهما شرارة كهربائية

فيلبس الشمع غشاءً رقيقاً من الذهب ثم يُلبَس الذهب بقشرة سميكة من النحاس بالترسيب الكهربائي ويذاب الشمع ويرسَّب مكانهُ طبقة سميكة من الفضة بالترسيب الكهربائي ايضاً ويذاب النحاس فتبقى الفضة وعليها غشاوة الذهب وفيها العلامات التي كانت في اسطوانة النحاس . وتحفظ كذلك الى ما شاء الله لا يؤثر فيها الحر ولا البرد ولا الاستعمال المتكرر

ملهل الاحصائي

توفي ميخائل ملهل الاحصائي الشهير في مدينة لندن . وهو اكبر علماء الاحصاء واوسعهم بحثاً وادقهم نتائج وقد قدَّر عدد سكان الولايات المتحدة قبلما أُحصي اخيراً فكان الفرق بين تقديرهِ والاحصاء ٩٥ الفاً لاغير

مؤتمر السل

سيلتئم مؤتمر كبير في مدينة لندن في ٢٢ يوليو المقبل للبحث في خير الوسائط التي يمكن استعمالها لاتقاء السل وشفائهِ واستئصالهِ وسيحضرهُ مندوبون من كل اقطار المسكونة ويفتحهُ ملك الانكليز بنفسهِ

السكلوبيذيا الصينية

في المجلد الكبير من المقتطف نحو نصف مليون كلمة وعند الصينيين دائرة للمعارف (سكلوبيذيا) فيها ٣٦٦٩٩٢٠٠٠ كلمة اي انها تساوي اكثر من سبع مئة مجلد من مجلدات المقتطف وقد حُرِق هذا الكتاب العظيم مدة حصار السفارات الاجنبية في باكين وليس حرقهُ بالخسارة الوحيدة التي خسرتها بلاد الصين اشباعاً لمطامع الاوربيين

مصل التيفويد

نشرت الجرائد الطبية النمسوية ان طبيباً اكتشف مصلاً يشفي من التيفويد ولا يعالج بهِ المريض حقناً بل شرباً

السمك المدفون

كتب بعضهم من جزيرة زيلندا الجديدة يصف نوعاً من السمك يغور في الارض في اواخر فصل الشتاء ويصنع لنفسهِ كفناً غروياً يلتف بهِ وينام الى فصل الشتاء التالي وهو صغير طول السمكة منهُ نحو اصبع . واذا أُخرج من الارض في اوائل فصل الشتاء لم يظهر عليهِ شيءٌ من دلائل الحياة ولكنهُ اذا وُضع في الماء طرح الكفن الذي يحيط بهِ فوقع في قاع الماء واخذ هو يسبح فيهِ مثل غيرهِ من السمك

دواء الحمى القلاعية

اعلن الدكتور جار في اكادمية الطب بباريس انهُ اكتشف دواءً للحمى القلاعية التي تميت الغنم شفى بهِ الفاً وخمس مئة رأس في مدة سنتين وهو محلول مركز من الحامض الكروميك النقي تكوى بهِ الجروح كيًّا وفعلهُ سريع جداً

ايصال باريس برومية

تمدُّ اسلاك التليفون الآن بين باريس ورومية وسيتخاطب اهالي هاتين العاصمتين في الصيف المقبل والبعد بينهما اضعاف البعد بين القاهرة والاسكندرية ولكن شتان بين همة الناس هناك وهمتهم هنا

اكبر صورة فوتوغرافية

صنعت صورة فوتوغرافية في مدينة شيكاغو على لوح طولهُ ثماني اقدام وعرضهُ اربع اقدام ونصف قدم ويقال انها اكبر صورة فوتوغرافية صُنعت حتى الآن

النور والعلاج

قرأ الدكتور غارنول رسالة في اكادمية العلوم بباريس عن فعل النور الشافي وذكر انهُ عالج كثيرين بالنور الساطع فشفاهم من امراض مختلفة وانهُ انتبه الى ذلك مما ذكرهُ المسيو تروفه وهو ان عاملاً مصاباً بالروماتزم اقام ٤٨ ساعة بقرب نور كهربائي ساطع فشفي من مرضهِ ثم ظهر ان الذين يلحمون المعادن بالكهربائية يشفون من النقرس والروماتزم. وقال انهُ اذا جمع النور من قنديل قوتهُ مثل قوة ٥٠ شمعة على مصاب بالروماتزم او بالزكام المزمن او بالصمم شفي او استفاد كثيراً

رخص الاكسجين

اشار الاستاذ بكته من اساتذة مدرسة جنيفا الجامعة باسلوب جديد لاستحضار الاكسجين بكثرة وبقليل من النفقة حتى ان الآلة البخارية التي قوتها ٥٠٠ حصان يستحضر بها خمس مئة الف قدم مكعبة في اليوم وذلك بتبريد الهواء في اناءٍ يحيط بهِ الهواء السائل فينفصل اكسجين الهواء عن نيتروجينهِ وينزل الاكسجين الى اسفل الاناء ويبقى النيتروجين في اعلاهُ لان الاكسجين اثقل من النيتروجين

الماء لباريس من سويسرا

يهتم المهندسون الفرنسويون في جلب الماء الى مدينتهم من بحيرة جنيفا ويقال ان نفقات جر الماء من جنيفا الى باريس لا تقل عن اربعين مليون جنيه

الآلة البخارية الشمسيَّة

اهتم المخترعون منذ زمان طويل باستنباط آلة بخارية تأتيها الحرارة من الشمس مباشرة ولا يخفى انهُ اذا جمعت اشعة الشمس بعدسية محدبة او بمرآة مقعرة كان في محترقها حرارة شديدة جداً تذيب الحديد والصوان. فقد صنع احد الفرنسويين مرآة قطرها اربع اقدام فصهرت حرارة الشمس المجتمعة بها قطعة من الحديد في ست عشرة ثانية. وصنع رجل انكليزي بلورةً قطرها ثلاث اقدام صهرت قطعةً من الحديد في ثلاث ثوانٍ واذابت حصاة من الصوان في دقيقة من الزمان. ومعلوم ان المرآة التي قطرها ثلاث اقدام لا

تزيد مساحة سطحها على سبع اقدام مربعة فما قولك لو صنعت مرآة مقعرة مساحتها مئات من الاقدام لا غرو انها تذيب الحديد في اقل من طرفة عين

غير ان ما يبقى في دائرة الامتحان في كل البلدان يخرج الى دائرة العمل في اميركا بلاد الغرائب فقد رأينا في السينتفك اميركان الآن صورة مرآة كبيرة مقعرة مؤلفة من مرايا كثيرة صنعت في كليفورنيا واوصلت بآلة كالساعة تديرها من الشرق الى الغرب حتى تبقى مواجهة للشمس قطرها عشرة امتار مؤلفة من ٧٨٨ مرآة صغيرة مجموعة بعضها مع بعض على سطح واحد مقعَّر حتى تجمع اشعة الشمس المعكوسة عنها على اناء اسطواني كبير طولهُ خمسة امتار وفيهِ مئة جالون من الماء . اذا اديرت هذه المرآة الى الشمس لا تمضي عليها ساعة حتى يغلي الماء فيها و يشتد ضغط البخار فيدير آلة بخارية ترفع الماء من بئر عميقة ومقدار الماء الذي ترفعهُ ١٤٠٠ جالون في الدقيقة فهي مثل آلة بخارية بقوة عشر رؤُوس خيل . ولا يبعد ان نرى مثل هذه الآلة في القطر المصري وفي بلاد السودان حيث تبقى الشمس ظاهرة اكثر ايام السنة

ذات الرئة ومصل الدفثيريا

اعلن الدكتور تلامون من اطباء مستشفى بشات في باريس انهُ عالج ذات الرئة بالمصل المضاد للدفثيريا فنجح في علاجها

نوع جديد من الغنم

اكتُشف نوع جديد من الغنم في كلنديك شمالي اميركا الشمالية رأْسهُ وعنقهُ وصدرهُ وبطنهُ وباطن يديهِ بيضاء كلها كالثلج وما بقي من جسمهِ رمادي اسمر

السل والنور المحلول

استعمل احد اطباء اميركا النور المحلول لمعالجة المسلولين ويقال انهُ نجح في ذلك كثيرًا فيسقي المسلول زيت السمك والزرنيخ ليقوي جسمهُ ويحل النور الكهربائي من قنديل بقوة ١٥٠٠٠ شمعة ويلقيهِ عليهِ من خلال زجاج ازرق

ارتفاع بحيرة لوط

يقال ان قاع بحيرة لوط آخذ في الارتفاع رويدًا رويدًا بفعل بركاني وسطح البحيرة آخذ في الاتساع

جريدة تليفونية

سبق اهالي بودابست عاصمة المجر غيرهم الى انشاء جريدة تليفونية اي ارسال الاخبار بالتلفون الي المشتركين وقد شرعوا في ذلك منذ سنة ١٨٩٣ والاشتراك في هذه الجريدة التليفونية خمسة عشر غرشًا في الشهر وترسل الاخبار الى المشتركين من الساعة ٨ صباحًا الى الساعة ١١ مساءً وقد كثر انتشارها الآن وشاع استعمالها في ضواحي المدينة ايضًا

الهيدروجين في الهواء

ثبت الآن ان الهيدروجين كثير في الهواء يبلغ نصف الحامض الكربونيك الذي فيهِ اي انهُ نحو جزءٍ من عشرة آلاف جزءٍ جرماً ولم يعلم ذلك قبل الآن لصعوبة اكتشافهِ في هذا المقدار الكبير من الهواء . والظاهر ان مقدار الهيدروجين ثابت في الهواء ومن المحتمل انهُ يذهب من جو الارض و يبعد عنها في الفضاء لخفتهِ فيأتي هيدورجين آخر من الارض ليقوم مقامهُ ويبقى مقدارهُ ثابتاً في الهواء

الطعام النباتي

وهب بعضهم مدينة برلين ٢٥ الف جنيه لتنشئ بها ملجأً للايتام مشترطاً ان تقصر طعامهم فيهِ على المواد النباتية فرفضت هبتهُ لعلمها انها تضرُّ الايتام بذلك اكثر مما تنفعهم

عمر السكير

اثبت الدكتور دانا الاميركي ان السكير لا يعيش اكثر من ١٥ سنة بعد ادمانهِ المسكرات . وجسم الانسان لا يحتمل اكثر من ثلاثة آلاف سكرة

شذور عن مجلة الطبيب

صدرت الارادة السنية بتجديد اعفاء الآلات الزراعية من رسوم الجمرك عشر سنوات اخرى في كل الممالك العثمانية

وجد احد قرويي اليونان ان محلول الملح يتلف جراثيم مرض الكرمة المعروف بالبروتوسيون . وقد جرَّب دهن العنقود الجديد عند اول عقدهِ بمحلول الملح فكان يسلم منهُ تسعون في المئة

اكتشف زيت البترول في جهات الموصل ويقال انهُ اجود من البترول الوارد من باطوم

تقرَّر في مجلس شورى الدولة العثمانية ان تعفى اشجار الزيتون والخرنوب والبندق من العشور عشرة اعوام من تاريخ استثمارها

منح ورثة المرحوم جواد باشا المتحف السلطاني مكتبة والدهم وفيها ٧٧٠٠ مجلد . فعين لها دائرة مخصوصة سميت مكتبة جواد باشا

عزم ناظم باشا والي الشام على انشاء مدرسة للقوابل فيها واستأذن الباب العالي في ذلك فاذن لهُ

عزمت الحكومة العثمانية على انشاء خمسة معامل لاستخراج طعم الجدري في الشام والبصرة وارضروم ومناستر وبتليس على نسق معمل الاستانة وقدَّرت نفقات كل معمل بثلاثة آلاف جنيه

فتح في مكتب كلخانة الطبي مجال جديد لدرس اللغة الالمانية وقد دخل في صفوف الدارسين ٢٠ طبيباً عسكريًّا من الحائزين على رتبة ملازم

فهرس الجزء الرابع من المجلد السادس والعشرين

٢٨٩ معرض باريس العام
٢٩٤ العلاج بالحرارة
٢٩٧ غرائب العلم * لنجيب افندي بستاني
٣٠٥ رواية امينة
٣٢٢ التبزير ودود الحرير (مصوَّرة)
٣٢٤ السفر الى القطب الجنوبي
٣٣٠ نزول الثلج وحياة الانسان
للشاعر الاميركي وليم برانيت
٣٢٣ تاريخ آل معن * لجرجي افندي يني
٣٣٨ عمران دمشق * لمحمد افندي كردعلي
٣٤٨ كلام كارنجي عن نفسهِ (مصوَّرة) * لنجيب صروف
٣٥٢ جحيم الضواري
٣٥٥ الاحياء القديمة (مصورة)
٣٥٧ المشد (الكرسه) ومضارهُ * للدكتور صوصه
٣٦١ الرياضة للرجال والنساء * للدكتورة انيسة صيبعة

٣٦٦ باب المراسلة والمناظرة * التوفيق بين اصحاب الاديان · ترقية المراة · علموا البنات ما يحتجنَ اليهِ
٣٧٠ باب الهدايا والتقاريظ * دائرة المعارف · فن الصوت والموسيقى · المراة في الاسلام · تتمة البيان في تاريخ الافغان
٣٧٢ باب المسائل * اكبر حيوانات البحر · الحشرات القشرية · سكان المريخ الملائكة الساقطة · دوران الارض · شهب نوفمبر · اعمار القدماء · شهر فبراير · السنة الكبيس · كروجر · غرينلندا · صبات طوبل · اصغر ممالك اوربا
٣٧٧ باب الاخبار العلمية وفيهِ ٣٠ نبذة